مجلة

المحدث

مجلة علمية فصلية

السنة الثالثة، العدد الحادي عشر
جمادى الأولى١٤٤٦هـ، تشرين الثاني٢٠٢٤م

تصدر عن
مدرسة الحديث العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

المُحَدِّث

مجلة المحدث مجلة علمية فصلية متخصصة بالحديث وعلومه

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية

رئيس التحرير

أ.د قاسم محمد أحمد الخزرجي

مدير التحرير

أ.د إسماعيل خليل محمد

سكرتير التحرير

أ.م.د عمار الخالدي

التصميم والتنضيد

م.د رحيق رعد المشايخي

منذر خميس البدراني

المحتويات

ت	المحتوى	رقم الصفحة
١	كلمة العدد	٢
	المقـــــــالات	٣
٢	بين يدي (سهام الإصابة في الدعوات المجابة) ـ العلامة أحمد حسن الطه	٤-١٠
٣	أهم اسباب انتشار الشبهات حول السنة ـ د. ثامر حتاملة	١١-١٥
٤	السنة النبوية بين الغلاة والجفاة (ق٢) ـ د. عماد محمد عبدالله	١٦-٢٦
٥	سلسلة بحثية حول الاجازة القرآنية ـ فؤاد محمد خطاب الدمنهوري	٢٧-٣١
٦	أسوار الهوية ـ م.د. طارق موسى عبدالله	٣٢-٣٦
٧	البعد المقاصدي للسنة النبوية وأثره في التشريع - د. حسن عنقوري	٣٧-٤٣
٨	فوضى الاستدلال العلمي الشرعي ـ د. مجيد المساري	٤٤-٤٧
٩	السنة النبوية وبناء الشخصية الريادية ـ حسام وليد السامرائي	٤٨-٥١
١٠	تنبيه الغافل إلى ما في تنظيف المساجد من الفضائل ـ أحمد الصالحي	٥٢-٦٢
١١	دور السنة النبوية في إبطال منهج فرقة "القرآنيين" ـ أ.د. قاسم الخزرجي	٦٣-٦٦

كلمـــة العـــدد

عدنا والعود أحمد

- مضت مدّةٌ ليست بالقليلة على توقُّفِ مجلتنا (المحدث) وكان ذلك لأسباب فنية، وها هو جديدها: العدد الحادي عشر بين يديك أيها المتَّبعُ لسنَّة نبيِّك محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ومع هذه العودة ندعو الباحثين لإرسال أبحاثهم ودراساتهم وفق ضوابط النشر الواردة في الصفحة الأخيرة، وعلى بريد المجلة:

mailto:almohadith.mg@gmail.com

- قال عبدالله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: أنشدني أبي فقال:

لا ترغبنَّ عن الحديث وأهلِهِ ** فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولربَّما جَهِلَ الفتى أَثَرَ الهُدى ** والشَّمسُ بازغة لها أنوارُ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
والحمد لله رب العالمين

سكرتير التحرير
الدكتور عمار الخالدي

مدرسة الحديث العراقية

المقـــالات

بين يدي كتاب:

سهام الإصابة في الدعوات المجابة للإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)

العلامة الدكتور أحمد حسن الطه (حفظه الله)

كبير علماء المجمع الفقهي العراقي للدعوة والإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

الحمدُ لله ربِّ العالمين والعاقبةُ للمُتّقين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا مُحمَّدٍ خاتم النبيّين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

وبعدُ فقد اطّلعتُ على كتاب (سهام الإصابة في الدَّعوات المجابة) للإمام جلال الدين السُّيُوطيِّ رحمه الله تعالى وأكرم مثواه، والكتابُ مهمٌّ يحتاجُهُ كلُّ مسلمٍ، وأهمِّيَّتُهُ معلومةٌ لأنّه يتعلّقُ بالدُّعاءِ الذي هو العبادة؛ بل مخُّ العبادة.

والدُّعاءُ: طلبُ العبدِ من ربِّهِ الإعانةَ، واستمدادُهُ المعونةَ منه (١).

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنّ الدُّعاءَ هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]"(٢).

وفي تفسير الإمام الطبريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل إنّ معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: إنّ الذين يستكبرون عن دُعائي. اهـ

---

(١) ينظر: **نثر اللآلئ شرح نظم بدء الأمالي للآلوسي عبد الحميد شقيق أبي الثناء**، دار الفتح- عمان، (ص٣٨٧).

(٢) رواه **أحمد في مسنده**، ح (١٨٣٥٢)، من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إنّ من الأدب مع الله تعالى أن تعلمَ أنّ دُعاءك من مَظاهرِ عبوديتِّكَ، وقيامِكَ بحقِّ ربوبيَّتِهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١).

فالدُّعاء بحدِّ ذاته عبادةٌ سواءٌ استُجيبَ له أم لا، لأنّه يحملُ صفةَ العبوديّةِ وكمالَ الافتقارِ إلى الله تعالى واللُّجوءَ إلى حولِهِ وقوتِهِ دون سِواه، يرفعُه العبدُ الضعيفُ مُتوسِّلًا إلى ربِّه بأحبِّ الوسائل إلى الله تعالى: وهو **الضَّعفُ والعَجزُ والافتقارُ**، وربُّه هو: **الغنيُّ القادرُ الكريمُ الرّحمنُ الرّحيمُ الحليم**.

فالعبدُ إذا سأل ربَّه وشكا إليه ضُرَّهُ ورفعَ إليه حاجتَهُ -وهو عبدٌ ضعيفٌ لا يملكُ نفعًا ولا ضرًّا- وقد علِمَ إنّ ربَّه مرغوبٌ إليه في الحوائج -الصمد- على ما يشاءُ قدير، ورحمتُهُ وسِعت كلَّ شيءٍ، أرشدَ عبادَهُ إلى سؤاله، وَوَعَدَهُم بالاستجابة: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ فاستشعارُ هذه المعاني أرقى أنواعِ العبادة؛ لأنّها من أعمالِ القلوبِ، وهي أعلى منزلةً من أعمال الجوارح.

فهذه المعاني دليلُ الإقبالِ على الله تعالى والإعراضِ عمَّن سِواه، بحيثُ لا يَرجو ولا يَخافُ إلا اللهَ، قائمًا بوجوبِ العبوديَّة، مُعترفًا بحقِّ الربوبيَّةِ.

وقد أشارَ الإمامُ السُّيُوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنّ سرَّ الإجابة في هذه الدّعواتِ قد يكونُ من خَصائِصَ ميّزَ الله كلًّا منها بسرٍّ من الأسرار.

قال عُلماؤُنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إنّ لله خواصَّ في الأزمنةِ والأمكنةِ والأشخاص؛ فهو سُبحانه يختصُّ بفضله بعضَ مخلوقاتِهِ بشيءٍ من الأسرار:

- **فلبعضِ الأمكنةِ من الخصائصِ ما لا يُوجد في غيرها**، كذلك الدُّعاءُ فيها له خصوصيّةٌ:

(١) ينظر: **فقه الهجرة إلى الله في ظلال الحكم العطائية لأحمد عدنان الوتاري**، (ص٣٠).

- فمكّةُ شرَّفها الله تعالى بخصائصَ لا تُوجد في غيرها؛ فهي بيتُ الله الحرام ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]، والصَّلاةُ فيه بمئةِ ألف صلاة، ويُنْزِلُ الله تعالى عليه في اليومِ عشرينَ ومئةَ رحمة.. وغير ذلك مما ذُكر في المطوّلات.
- كذلك المدينةُ المنوّرةُ بحلول رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، فيها خصائصُ: الصَّلاةُ فيها بألفِ صلاة، وهي حرمٌ كما مكّةَ؛ وذلك بدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها كما ذُكِرَ في المبسوطات.
- وكذلك بيتُ المقدسِ -فَكَّ الله أسرهُ- أُولى القِبلتينِ، والصَّلاةُ فيه بخمسِمِئة صلاة، بارَكَ اللهُ حَولَهُ بأنواعِ البركاتِ ذَكَرَتْها كُتُبُ الآثارِ والسُّنن، وهي جزءٌ من الشّام بما فيها من خصائص، وهو -بيتُ المقدس- مَجمَعُ الأنبياءِ ليلةَ الإسراءِ، وغيرُ ذلك مما جاءَ في المبسوطات في فضلِهِ.

- **ولبعض الأزمنةِ خصائصٌ لا توجد في غيرها**، وفي كلٍّ منها سرٌّ من أسرار الله تعالى لا يعلمهُ إلا هو سبحانه:

- من ذلك: شهرُ رمضان، ومنه: ليلةُ القدر، والعشرُ الأواخرِ منه.
- ومن ذلك: عشرُ ذي الحجَّةِ الأولى، ويومُ عرفة.
- ومن ذلك: يومُ عاشوراء.

فلكلٍّ منها فضلٌ، وفي كلٍّ منها سرٌّ قد يكونُ سببًا في تحقيقِ الإجابة وحصولِ الإصابة.

- **وقد يكون سرُّ الإجابةِ في شخصِ الداعي**، عندما يكون قلبه مُتَّصفًا بأحدِ الأحوالِ الفاضلةِ التي تزيدُهُ قُربًا من ربِّهِ وتجعلُهُ من أحبابِهِ.

وهذا القُربُ والبُعدُ من الله تعالى في الإنسان سَبَبُهُ القلب؛ فهو مَصدرُ الإيعازِ والجوارحُ تُنَفِّذُ ما يُقرِّرُ ويَعزِمُ من خيرٍ وشرٍّ.

لهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ألا وإنّ في الجسدِ مضغةٌ إذا صَلَحَتْ صلحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كُلُّهُ ألا وهي القلب"(١).

وقد بيّنَ الإمام العزُّ بن عبد السَّلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأحوال الفاضلة فذكر منها(٢):

- **الخوفُ**: الناشئُ عن معرفةِ شِدّةِ انتقامِهِ جلَّ وعلا.
- **والرَّجاءُ**: الناشئُ عن معرفةِ سعةِ رحمتِهِ جلّ جلالهُ وعمّ نَوالُهُ.
- **والتّوكُّلُ**: الناشئُ عن معرفةٍ بالضرّ والنّفعِ، والخفضِ والرّفعِ.
- **والحياءُ**: حالٌ ناشئٌ عن معرفةِ نَظَرِهِ إلينا واطِّلاعه علينا، فَمَنْ حَضَرَتهُ هذه المعرفة استحيا فلم يأتِ إلا بما يُقرِّبُهُ إليه سبحانه.
- **والمحبَّةُ**: التي من أسبابها مَعرفةُ احسانِهِ تعالى، والقلوبُ مجبولةٌ على حبِّ من أنعمَ عليها، وأحسنَ إليها، فما الظنُّ بمحبّةِ مَنْ الإنعامُ كُلُّهُ منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

وهذه الأحوال، وتُسمى عند أهلِ السُّلوكِ والتربيةِ الرُّوحيَّةِ والمعارفِ: مقاماتٌ يتّصفُ بها قلبُ العبدِ، ولا شكَّ أنَّها من أرجى أسبابِ الإصابةِ لإجابةِ الدَّعوات.

ولما كان الدُّعاءُ هو العبادة، ومن أبرز مَظاهرِ العبوديَّةِ؛ فهو بحدِّ ذاتِهِ هدفٌ شَرعيٌّ ومن أبرزِ أنواعِ البرِّ؛ لذلك أمرَ اللهُ به، وامتثالُ أمرِ الله عبادةٌ، حيثُ قال: ﴿ ٱدْعُونِيٓ ﴾، فتلبيةُ أمرِهِ في ﴿ ٱدْعُونِيٓ ﴾ عبادةٌ لأنّه امتثالٌ لأمرِهِ تعالى.

وأمّا **الإجابةُ**؛ فقد وَعَدَنَا اللهُ تعالى بها، وَوَعدُهُ حقٌّ، ومن كمالِ الإيمانِ وصِدقِ العبوديَّةِ التأدُّبُ بآدابِ الشّرعِ، وحيثُ قال: ﴿ أَسْتَجِبْ ﴾ فَوَعدُهُ حقٌّ ولا تَعْجَل، قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ ما لم يَدعُ بإثمٍ أو قطيعةِ رَحِمٍ ما لم يَستَعجِلْ"(٣).

---

(١) رواه **البخاريُّ في صحيحه** (٥٢) من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: **قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعزّبن عبد السَّلام** (ت ٦٦٠هـ)، (٥٩/٢) وما بعدها بتصرف.

(٣) أخرجه **مسلم في صحيحه**، ح (٢٧٣٥).

ومن المعلومِ أنّ الله تعالى لا يُهمِلُ دعوةً صدرت من قلبٍ ذاكرٍ؛ فهي إما خيرٌ يُعَجّلُ، أو خيرٌ يُدّخَرُ، أو شرٌّ يُدفعُ. واللهُ سبحانَهُ يُقَدّرُ بِحُكمِ ولايَتِهَ أمرَ عبدِهِ بما هو الأصلحُ لحالِ عبدِهِ، وكفى بالله وليًّا.

وقد صحّ عن عُبادةَ بن الصّامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما على الأرضِ مسلمٌ يدعو اللهَ تعالى بِدعوةٍ إلا آتاه اللهُ إيّاها أو صَرَف عنه من السوءِ مثلَها ما لم يدعُ بمأثمٍ أو قطيعةِ رَحِمٍ. فقال رجلٌ من القوم: إذا نُكثِرُ، قال: اللهُ أكثرُ"(١)، وفي رواية أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أو يَدَّخِرُ لَهُ من الأجرِ مِثلَهَا"(٢).

- فَأَدِم أُخيَّ الوقوفَ على بابِ مولاك فإنّه لا يُخيَّبُ سائِلُهُ، ولو بعدَ حينٍ.
- وأنتَ على الدَّوام مفتقرٌ إليه مُتَّصفٌ بالضَّعفِ والذِّلةِ بين يديه.
- وادعُ اللهَ بحضورِ قلبٍ وانكسارٍ يَستجبْ لك.

وقد ثبتَ في الصّحِيحينِ عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يُستجابُ لأحدكُم ما لم يَعجَل، يقولُ: دعوتُ ربّي فلمْ يَستجبْ لي"(٣).

- وقد يكونُ سرُّ الإصابةِ في الإجابةِ في صيغةِ الدُّعاءِ؛ لأنّ فيها أنفاسَ الوحيّ، لذلكَ فإنّ أفضلَ صِيغِ الدُّعاءِ هو صحيحُ المأثورِ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كانَ بحضورِ قلبِ الدّاعي وصِدقِ نيّتِهِ، على وِفقِ ما يُفهمُ من حديثِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ادعُوا اللهَ وأنتُم مُوقِنُونَ بالإجابةِ، وَاعلمُوا أنّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قَلبٍ غافلٍ لاهٍ"(٤).

ولا شكَّ أنّ إجابةَ الدُّعاء مقيَّدةٌ بالمشيئَةِ، قال الله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤١]؛ فإجابةُ الدُّعاءِ مَرهُونةٌ بمشيئته تعالى، فما شاءَ اللهُ من الإجابةِ كان، وما لم يَشأ لم يكن.

---

(١) رواه التِّرمذيُّ في سننه، ح (٣٥٧٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، ح (١٨١٦).

(٣) رواه البخاريُّ في صحيحه، ح (٦٣٤٠) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، ح (٢٧٣٥).

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ في سننه (٣٤٧٩).

وقد أجمعَ أهلُ الحلِّ والعقدِ من عُلماءِ الأمّةِ على "تَحقُّقِ تأثيرِ الدُّعاءِ الصّادرِ من المسلمِ المطيعِ للحيِّ والميْتِ في النّفعِ"(١).

وقد كان العلاءُ بن الحَضرَميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَشهُورًا بإجابةِ الدُّعاءِ، وكانَ البراءُ بن مَالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُقسمُ على اللهِ فَيَبُرُّ قَسَمُه.

وفي الصحيح: "إنّ من عبادِ الله مَن لو أقسمَ على الله لأَبَرَّهُ"(٢).

وشذَّت بعضُ الفرقِ الإسلاميّةِ فَنَفَتْ الشّفاعةَ وتأثيرَ الدُّعاءِ، مُستدلِّينَ بقولهم: الأقدارُ سابقةٌ، والأقضيةُ ماضيةٌ، وكلُّ نفسٍ بما كسبت رَهينةٌ، وبظواهرِ بعضِ النُّصوصِ، وَفَاتَهُمْ: أنّ نَفيَ ما تقدمَ إنّما هو بالنسبةِ للكافرينَ الذينَ ليسَ لهم حميمٌ ولا شفيعٌ يُطاع في قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، والظالمون هُنا: هُم المشركون؛ لأنّ الشّركَ ظُلمٌ عظيمٌ كما فُسِّرَ في الحديث الصحيح(٣)، أمّا الدُّعاءُ للمسلمينَ الأحياءِ والأمواتِ فهو ثابتٌ بالنُّصوصِ الصّريحةِ في الكتابِ والسُّنّة، أشهرها: صلاة الجنازة؛ فهي دُعاءٌ محضٌ، وقد تواترت مُنذ عصر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى يومنا هذا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] دليلٌ قاطعٌ بأنّ الدُّعاءَ للمُؤمنينَ الذينَ سَبقونا بالإيمانِ عبادةٌ ونافعٌ وله تأثيرٌ في تخفيفِ الذُّنوبِ ودفعِ العذابِ ورفع

---

(١) **نثر اللآلئ شرح نظم بدء الأمالي للآلوسي عبد الحميد شقيق أبي الثناء**، (ص٣٨٩) وما بعدها.

(٢) رواه **البخاريُّ في صحيحه** (٢٨٠٦).

(٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أيُّنا لم يَظلم؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ رواه **البخاريُّ في صحيحه** (٣٢).

الدَّرجات [١]؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]، وقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [نوح:٢٨]، ولو لم يكنْ للدُّعاءِ نفعٌ لما شَرَعَهُ الله تعالى وَجَعَلَهُ عبادةً، وإلا فلا معنى له، حاشَ لله[٢].

وقد أشارَ عُلماءُ السّلفِ والخلفِ الى هذا في مُتونِ علم العقيدة، قال الأوشي:

وللدَّعــواتِ تأثيرٌ بليغٌ *** وقد ينفيهِ أصحابُ الضَّلال

أمّا الشّفاعةُ فهي ثابتةٌ بالأدلَّةِ الصّحيحةِ، منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "شَفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أُمَّتي"[٣]. فافزعْ إلى ربّكَ واسألهُ فإنّه يُجيبُ الملحِّينَ في الدُّعاءِ.

واعلمْ: «**أنّه متى أطلقَ لسانِكَ بالطلبِ فاعلمْ أنّهُ يريدُ أنْ يُعطِيَكَ**: وهو عطاءٌ مضمونٌ آتٍ يَتَحَقّقُ، علامتُهُ اطلاقُ لسانِكِ بالدُّعاءِ»، فـ«**لا يكنْ تأخرُ أمدِ العَطاءِ مع الإلحاحِ في الدُّعاءِ مُوجبًا ليأسِكَ، فهو ضَمِنَ لك الإجابةَ فيما يختارُهُ لك، لا فيما تختارُلنفسِك، وفي الوقتِ الذي يُريدُ، لا في الوقت الذي تُريد**»[٤].

واطمئنْ فإنّ الله مُجيبُكَ بخيرِ ما يَصلُحُ لك، وبخاصَّةٍ أنّ قصَّةَ ما مضى من عُمُرِكَ تَشهدُ على حُسنِ عِنايتِهِ بك، فَحَسِّنْ ظنَّكَ بِهِ لأجلِ ما عرفتَهُ منه.

فما رُزق العبدُ خَيرًا من حُسنِ ظنِّهِ بربٍّ صفتُهُ أنّه الوهّاب الكريم[٥].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ [الكهف:١٠].

وصلَّى الله وسلَّم على سيّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن اقتدى به، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) ضوء المعالي شرح بدء الأمالي للأوشي (ت ٥٧٥هـ) لملا علي القاري، (ص٩٣).

(٢) نثر اللآلئ شرح نظم بدء الأمالي للآلوسي عبد الحميد شقيق أبي الثناء، (ص٣٨٩) وما بعدها.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ح (١٣٢٢٢)، وأبو داود في سننه، ح (٤٧٣٩)، والتِّرمذيُّ في سننه، ح (٢٤٣٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) فقه الهجرة إلى الله في ظلال الحكم العطائية لأحمد عدنان الوتاري، (ص٢٨).

(٥) المصدر السابق نفسه.

أهم أسباب انتشار الشبهات حول السنة، وبعض الكتب في الرد على المشككين فيها

د. ثامر عبد المُهدي حتاملة

الأستاذ المشارك في الحديث النبوي الشريف وعلومه

وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

كانت – وما زالت– هناك جهودٌ للتشكيك في السُّنة النبوية قديمًا كما فعل بعضُ المعتزلة وبعض أهل الرأي قديمًا، وقد ردَّ العلماءُ على أولئك في زمنِهم؛ حيث نجد عند مطالعتِنا لكتب المتقدِّمين تلك الجهودَ واضحةً في الردِّ على تلك المحاولات؛ كجهود الشافعيِّ (٢٠٤ هـ) في (الرسالة)، وابن قُتيبة (٢٧٦ هـ) في (مختلف الحديث)، وابن فُورك (٤٠٦ هـ) في (مشكل الحديث وبيانه)، والخطيب البغداديِّ (٤٦٣ هـ) في بعض مباحث كتاب (الفقيه والمتفقِّه) و(الكفاية في علم الرواية)، وغيرهم من علماء الإسلام قديمًا.

وفي زمننا ظهر المستشرقون والعلمانيون وأتباعهم، فأخذوا العديد مِن شُبَه السابقين لهم من المشكِّكين، وزادوا عليها بعضَ الشُّبَه، فانتشرت بين الناس، فبَرَزَ لهم العلماء بالردِّ عليهم من جديد.

وكان من أسباب انتشار الشبهات حول السنة النبوية في عصرنا:

١- الجهل والضعف عمومًا لدى بعض متلقِّي الشُّبُهات من عوامِّ الناس، وضعف التأصيل العلميِّ لدى طلبة العلوم الشرعية.

٢- انتشار بعض الشبهات عن طريق بعض المتخصِّصين في الجامعات والمعاهد العلمية، ممَّن سلكوا مسالك خاصة بهم، وحادوا في منهجهم عن جادَّة الصواب.

٣- حب الشهرة والظهور، وادِّعاء النقد العلميّ الموضوعيّ، دون امتلاك أدوات النقد العلميّ.

٤- تلقِّي الشبهات في بعض البعثات العلمية إلى الدول الأوروبية.

٥- سرعة انتشار الشبهات لوجود بعض مِنصَّات الشهرة؛ كمواقع التواصل الاجتماعيّ (الفيسبوك وتويتر)، التي يسَّرت للكثيرين نشرَ أفكارهم، والترويج لها، وتسليط الأضواء عليهم.

٦- اتِّباع الهوى والشهوات للتخفُّفِ من تكاليف الدِّين تحت أيّ ذريعة؛ بحُجَّة وجود الشبهات وبعض القضايا المُشكِلة.

من هنا كان لا بدَّ على طلبةِ العلم التسلُّحُ بالعلم والحُجَّة، وكثرة المطالعة؛ للوقوف أمام تلك الهجمات، وقد أَوْلى علماءُ الإسلام قديمًا وحديثًا هذا الأمرَ عنايةً تَسُدُّ الحاجة لدى طلبة العلم، فصنَّفوا المصنَّفات، وزخرت المكتبة الإسلامية بكثير من المؤلَّفات في هذا الباب، ابتداءً من الإمام الشافعيّ، وامتدادًا إلى عصرنا.

وأذكر في هذه المقالة بعضَ الكتب في الردِّ على المشكِّكين في السنة النبوية، من حيث إنكارُ حجيَّتها، والطعن في ناقليها، أو الطعن في بعض الأحاديث وقواعد علوم الحديث، وغيرها من الشُبَه، ولا أقصد هنا استقصاءَ المكتبة الإسلامية في ذلك، إنما أذكر ما وقفت عليه، وما أوصى به أهل العلم والمهتمّين، وهي كالتالي:

كتب في الرد على حجية السنة عمومًا:

١- **كتاب (الرسالة):** للإمام محمَّدِ بنِ إدريسَ الشافعيّ (ت ٢٠٤ هـ)، فقد ذكر الإمام الشافعيُّ في بعض مباحثه مسألةَ حجيَّة السنة، والردَّ على مَن أنكرها، وغيرها من المباحث المهمة.

٢- **مقدِّمة كتاب (تأويل مختلف الحديث):** لأبي محمدِ بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، فقد ذكر في مقدِّمته الطويلة الرصينة قواعدَ وردودًا ماتعة في الردِّ على المناهضين للسنة النبوية؛ كالنظَّام من المعتزلة، وأهل الرأي في زمنه، ثمَّ انتصاره للسنة النبوية، وهي مقدِّمةٌ لا بدَّ لطالب العلم أن يقف معها طويلًا.

٣- **كتاب (السُّنة ومكانتها في التشريع):** د. مصطفى السباعي (ت ١٩٦٤م)، وهو كتاب جامعٌ يتحدَّث عن كثير من شُبهات المستشرقين.

٤- **وكتاب (حجية السنة):** د. عبدالغني عبدالخالق، وهو رسالة دكتوراه.

كتب في الرد على التشكيك في تاريخ السنة وتدوينها:

١- **كتاب (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ التدوين):** د. محمد مصطفى الأعظمي.

كتب في الدفاع عن الصحابة والسنة:

١- **كتاب (الأنوار الكاشفة):** عبدالرحمن المُعلِّمي اليَمَاني (ت ١٩٦٦م)، وهو كتاب رصين تَتَبَّع فيه شُبَه محمود أبو رَيَّة، التي نقلها عن المستشرقين في الطعن في بعض الصحابة وفي بعض الأحاديث النبوية.

٢- **كتاب (أبو هريرة راوية الإسلام):** محمد عجاج الخطيب.

كتب في الرد على المستشرقين:

١- **كتاب (دفاع عن السُّنة، وشُبَه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين):** د. محمد محمد أبو شهبة، وقد قال عنه: (كتاب جمعتُ فيه عصارةَ ذهني وعقلي وخلاصة عمرٍ طويل في دراسة السنة النبوية والردود على ما يُثار حولها مِن شُبَه...، ما يزيد عن ثلث قرن).

٢- **كتاب (المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي):** د. عجيل النشمي.

كتب في الرد على العلمانيين:

١- **كتاب (الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية.. دراسة نقدية):** د. غازي الشمري، وهي رسالة دكتوراه ممتازة في بابها.

كتب في الرد على العقليِّين والحَداثيِّين:

٢- **كتاب (الاتجاه العقلي وعلوم الحديث – جدلية المنهج والتأسيس):** د. خالد أبا الخيل، (عميد كلية الشريعة في جامعة القصيم / السعودية).

٣- **كتاب (الحداثة وموقفها من السنة):** الحارث فخري عيسى، وهي رسالة دكتوراه.

٤- **كتاب (مشكلات الأحاديث النبوية):** عبدالله القصيمي، وهو كتاب جمع فيه بعض الأحاديث التي اعترض عليها بعض المشكِّكين، وردَّ عليها ردًّا علميًّا معاصرًا.

كتب في الدفاع عن الصحيحين ومكانتهما:

١- **كتاب (مكانة الصحيحين):** خليل ملا خاطر.

٢- **كتاب (هَدْي الساري):** أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هجرية)، مقدمة شرح صحيح البخاري؛ وهو مصدرٌ لا غنى لطالب علوم الحديث عنه؛ ففيه بعض المباحث في الدفاع عن رجال البخاريِّ وبعض أحاديثه، خاصة في الفصلين الثامن والتاسع.

٣- **وأخيرًا هناك موسوعتان مهمَّتان في هذا الباب:**

♦ (موسوعة بيان الإسلام للرد على الافتراءات والشبهات) ، وهي من إعداد نخبة من العلماء والمتخصصين، تقع في ٢٤ مجلدًا، وفيها الردُّ على أغلب الشبهات قديمًا وحديثًا حول الإسلام عمومًا، والسنة النبوية خصوصًا، وهي تشمل كثيرًا من المباحث السابقة، ومنهجها كالتالي:

- بيان فكرة الشبهة.
- بيان أفكار الرد عليها.
- البَدْء بالدليل العقليِّ في الرد؛ لأن المخالف لا يؤمن بقرآن ولا سنة.
- إلحاق الرد النقليِّ بعد التأسيس العقليِّ له.
- الختام بخلاصة مركزة.
- الالتزام بالوسطية الفكرية.

♦ وكتاب (موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام) ؛ وهو من تأليف أحمدَ بنِ سليمانَ أيوب، ونخبة من الباحثين، وإشراف د. سليمان الدريع، ويتكوَّن الكتاب من ١٢ مجلدًا، جمع فيها قرابة ٦٠٠ شبهة أساسية حول الاسلام، ويندرج تحتها قسم من الشبهات حول السنة النبوية.

وأخيرًا: يجب على العلماء والدعاة تقريب مثل هذه المصنَّفات لطلبة العلم، ومُدارستها مع الطلبة للسعي إلى بناء علميٍّ متكامل لدى طلبة العلم.

ثمَ يجب على طالب العلم الشرعي عمومًا، وطالب علم الحديث خصوصًا، أن يبني نفسه بِناءً علميًّا متكاملًا؛ من حيث تعلُّمُ السنة النبوية من مصادرها الأصلية،

والسير ضمن خطة علمية واضحة في القراءة والمطالعة، يجمع فيها بين القديم والحديث من كتب السنة النبوية وبيانها والدفاع عنها.

السنة النبوية بين الغلاة والجفاة

(القسم الثاني)

الدكتور عماد محمد عبدالله

أبو العباس العزفي السبتي وإسهامه في إغناء الدرس الحديثي:

الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد؛ فقد تحدثنا سابقا عن حياة الشيخ أبي العباس العزفي، وكذلك تطرقنا للحديث عن الحياة العلمية التي كانت تكتنفها مدينة السبة العالمة، وسنواصل الحديث عن مبحثين رئيسين في حياة أبي العباس العزفي.

المبحث الثالث: ما يرويه أبو العباس العزفي من كتب في الحديث والسيرة

قبل أن نذكر مروياته لكتب الحديث نجيب عن تساؤل قد يرد علينا، وهو هل لأبي العباس كتب في الحديث؟ الحقيقة قد بحثت عن تراث هذا المحدث السبتي فوجدت في كتب التراجم ذكرا لبعض الكتب في تخصصات أخرى كعلم التفسير، والسيرة وغيرها أما في الحديث فقد ذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه: "ألف في الحديث أجزاء مفيدة"[1] لكنه لم يسم لنا هذه الأجزاء.

أما مروياته من كتب الحديث فهي كالآتي:

١- موطأ الإمام مالك:

لقد كان لعلماء المغرب والأندلس عناية خاصة بموطأ الإمام مالك منذ دخوله إليهما، "والدارس الاجتماعي لحال علماء المغرب يرى اهتمامهم الكبير بالموطأ وبصحيح البخاري فيكونون قد اهتموا بأول كتاب جمع الأحاديث الصحيحة ممزوجة بفقه

(١) في تاريخ الإسلام للذهبي، (١٤/ ١٠٠).

السلف، وبأول كتاب أفرد للحديث الصحيح"[١]، وكان من بين هؤلاء المغاربة الذين كان لهم اهتمام بالموطأ رواية ودراية، أبو العباس العزفي فقد رواه سماعا عن المحدث أبي محمد بن عبيد الله الحَجْري من رواية عبد الله بن وهب، والملخص لمسند الموطأ للقابسي، والتقصي لما في الموطأ من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عبد البر[٢]، ورواه أيضا عن شيخه أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حُبَيش سمع عليه الموطأ، والملخص للقابسي، وقد تصدر -هو أيضا بدوره في مجالسه بجامع سبتة- لقراءة كتاب الموطأ وشروحه، وممن روى عن أبي العباس موطأ مالك وسمعه عنه تلميذه الرعيني صاحب البرنامج فقد نص على سماعه منه.[٣]

٢-صحيح البخاري

من أنْعم النَّظر في تراث المغاربة يجد جما غفيرا منهم اعتنى بصحيح البخاري[٤] ويكفينا كشاهد على ذلك عناية ابن رشيد بالجامع الصحيح وهو تلميذ أبي العباس العزفي والراوي عنه، فمن مؤلفاته في ذلك "إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح" مطبوع، وله أيضا كتاب ترجمان التراجم على أبواب البخاري قال عنه ابن حجر: "أطال فيه النفس ولم يكمل"[٥] وله أيضا شرح على صحيح البخاري[٦]،والسنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن مطبوع.

يروي أبو العباس صحيح البخاري عن مشايخه منهم أبي محمد عبد الله الحجري، وكان ذلك عام تسعين وخمس مائة، وذلك بقراءة الشيخ أبي العباس على

---

(١) مقدمة محمد عوامة على كتاب تراث المغاربة، محمد بن عبد الله التليدي، ط دار البشائر-بيروت لبنان- ط ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، (٩).

(٢) برنامج شيوخ الرعيني، (٤٣).

(٣) السابق نفسه، (٤٢-٤٣).

(٤) تحدث الدكتور اسماعيل الخطيب في مقدمة تحقيقه لكتاب "الإشراف على أعلى شرف" تصنيف القاسم بن عبد الله بن الشاط، على عناية علماء سبتة بصحيح البخاري فلينظر.

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني، تح محمد عبد المعيد ضان، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، ط/٢/، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، (٣٧٠/٥).

(٦) ينظر السابق نفسه، (٣٦٩/٥).

شيخه الحجري"[١] ورواية أبي العباس لصحيح البخاري عن شيخه الحجري من أثبت الروايات يقول ابن رشيد السبتي في كتابه إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح" أبو العباس العزفي أحد المختصين به، المكثرين عنه الأثبات فيه"[٢] وقرأه أيضا على شيخه أبي عبد الله بن زرقون[٣].

٣- صحيح مسلم:

من المسائل التي تَحَدَّثَتْ عنها كُتُبُ اصطلاح الحديث قضية المفاضلة بين الصحيحين صحيح البخاري ومسلم، ومما يذكر في هذا الباب تفضيل بعض المغاربة لصحيح مسلم على صحيح البخاري، والأمر في الحقيقة لا يرجع إلى أن صحيح مسلم أصح من صحيح البخاري، وإنما كما قال ابن حجر العسقلاني أن ذلك "فيما يرجع إلى حسن السياق، وجودة الوضع والترتيب، ولم يفصح أحد منهم بأن ذلك راجع إلى الأصحية"[٤] وقد أقبل المغاربة على قراءة صحيح مسلم، وروايته وتدريسه في المساجد والمعاهد، وكانت لهم مجالس منها مجلس أبي العباس العزفي يرويه عن شيخه أبي محمد عبد الله الحجري فقد ذكر التجيبي تلميذ أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله المعروف بابن أبي الربيع الإمام القرشي أنه سمعه عنه قال في برنامجه: "وسمعت طائفة منه -أي صحيح مسلم- تفقها على العلامة الأوحد بقية المشايخ أبي الحسين ابن أبي الربيع القرشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بقراءة صاحبنا الفقيه الأجل العارف أبي خالد محمد بن أحمد بن محمد بن رضوان بن أرقم النميري الوادي آشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحدثنا به وأجازنا سائره عن أبي العباس أحمد بن محمد اللخمي ثم العزفي الإمام الفاضل الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسماعه على الزاهد أبي محمد محمد بن عبيد الله الحجري..."[٥] ثم ذكر بقية السند.

---

(١) ينظر: برنامج التجيبي، (٧٦).

(٢) افادة النصيح، (٨٠).

(٣) برنامج شيوخ الرعيني، (٤٥).

(٤) نزهة النظر في توضيح نخبة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط: مطبعة سفير بالرياض، ط/١، ١٤٢٢هـ، (٧٤).

(٥) ينظر: برنامج التجيبي، (٩٠-٩١).

٤- كتب السنن لأبي داوود والنسائي وجامع الترمذي:

يروي أبو العباس كتب السنن عن شيخه ابن عبيد الله الحجري قراءة عليه وعن جماعة من شيوخه كما نص على ذلك تلميذه الرعيني قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقرأت عليه كثيرا من أوائل كتب الحديث...وكتابي السنن لأبي داوود والنسائي، وجامع الترمذي، وناولني جميعها، إلا سنن أبي داوود؛ وحدثني بجميعها عن ابن عبيد الله قراءة عليه؛ وحدثني بها أيضا عن جماعة من شيوخه سواه."(١)

٥- رواية المسانيد والمصنفات:

من المعلوم لدى طلاب العلم أن بعض كتب المسانيد تتسم ببعض الطول، وقد يستغرق قراءة هذه المصنفات(٢) والمسانيد(٣) أياما وشهورا، بل وأعواما وذلك كمصنف عبد الرزاق وهو من أشهر المصنفات والبحر الزخار المعروف بمسند البزار، وهذه وغيرها قد رواها أبو العباس عن شيخه ابن عبيد الله الحجري من طريق أبي عبد الله محمد بن حسين المعروف بابن أبي إحدى عشرة، وطريق أبي عبد الله محمد بن سليمان التجيبي السرقسطي، وطريق أبي الحسين شريح، وطريق أبي بكر يحيى بن خلف الجِميري، وطريق أبي جعفر أحمد بن الباذش بأسانيدهم سمع عليه مصنف عبد الرزاق ومسند البزار ومسند ابن أبي شيبة، ومسند الحارث بن أبي أسامة، ومسند الجوهري.(٤)

٦- روايته لكتب السيرة وكتب الحديث غير ما تقدم:

لم يكتف أبو العباس بقراءة ورواية كتب الصحاح والسنن والمسانيد التي تقدم ذكرها، بل نجده يحرص على سماع ورواية كتب أخرى في الحديث، وقد ذكر الشيخ

---

(١) برنامج شيوخ الرعيني، (٤٣).

(٢) المصنفات هي: كتب مرتبة على الأبواب لكنها تشتمل على الحديث الموقوف والحديث المقطوع، بالإضافة إلى الحديث المرفوع. ينظر: منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر، ط دار الفكر، دمشق – سورية، ط/٣، ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م، (٢٠٠).

(٣) المسند هو الكتاب الذي تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بحيث يوافق حروف الهجاء، أو يوافق السوابق الإسلامية، أو شرافة النسب، والمسانيد كثيرة جدا أشهرها وأعلاها المسند للإمام أحمد بن حنبل. ينظر: المصدر السابق نفسه، (٢٠١).

(٤) ينظر: برنامج شيوخ الرعيني، (٤٤).

أبو العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في برنامج شيوخه، الكتب التي رواها ولكنه مع الأسف الشديد لم يعد موجودا[١] إلا أن تلميذه أبا الحسن الإشبيلي ذكر لنا الأجزاء والكتب الحديثية التي رواها عن الحجري وهي كالآتي:

كتاب السيرة لابن أبي إسحاق وأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام للأصبهاني، وتاريخ ابن أبي خيثمة قرأه عليه جميعه، والشمائل المحمدية، ورياضة المتعلمين لأبي نعيم وأدب الصحبة للسُّلمي، والمراسيل لأبي داوود وسمع كتاب الكنى لمسلم، والطبقات له وغريب الحديث لأبي عبيد، وشرح الحديث للخطابي والغريبين للهروي وطائفة من غريب الحديث للحُربي والشهاب للقضاعي، رواه عن أبي القاسم ابن حبيش، وفوائد ابن صخر ومنتقى ابن الجارود، وروى عن أبي القاسم ابن حبيش كتاب الشريعة والأربعين للآجري، والأربعين للسلمي والأربعين لأبي نعيم، وكثيرا من علل الدارقطني، وكتاب السنة لأبي ذر الهروي، وجامع معمر بن راشد، وغريب الحديث لابن قتيبة، والدلائل لقاسم بن ثابت والرقائق لابن المبارك.[٢]

وسمع من أبي القاسم عبد الرحمن الجذامي، وأبي عبد الله بن حسن بن عطية الأنصاري كتب القاضي عياض، سمع عليهما الشفا بتعريف حقوق المصطفى وبغية الرائد فيما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد وغير ذلك من تواليف القاضي عياض.[٣]

٧- كتب مصطلح الحديث:

يقول العراقي في شرح التبصرة: "فعلم الحديث خطير وقعه، كثير نفعه، عليه مدار أكثر الأحكام، وبه يعرف الحلال والحرام، ولأهله اصطلاح لابد للطالب من فهمه فلهذا ندب إلى تقديم العناية بكتاب في علمه"[٤]، فطالب علم الحديث لابد له من الإلمام والاطلاع على كتب مصطلح الحديث ولهذا نجد علماء الغرب الإسلامي لهم

---

(١) ينظر: فهرس الفهارس: محمد عَبْد الحَيّ الكتاني، تح إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي – ط٢، ١٩٨٢م، (٨٢٦/٢).

(٢) برنامج شيوخ الرعيني، (٤٤).

(٣) السابق نفسه، (٤٥-٤٦).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تح: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (٩٧/١).

جهود يشكرون عليها في خدمتهم لهذا الفن، وممن ألف في مصطلح الحديث من علماء سبتة الإمام العلم القاضي عياض يرويه عنه أبو العباس العزفي بواسطة أبي القاسم عبد الرحمن الجذامي، وأبي عبد الله بن حسن بن عطية الأنصاري وسمع من شيخه الحجري كتاب علوم الحديث للحاكم، والمدخل له وسمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (ت: ٣٦٠هـ).

٨- كتب الرجال:

للإسناد مكانة مهمة عند المحدثين، وهذه الأحاديث النبوية ما حُفِظَت إلا برجال تلقوا هذا الهدي النبوي عن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم تلقوه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإسناد من خصائص هذه الأمة قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم: أن الإسناد في أصله خصيصة فاضلة لهذه الأمة ليست لغيرها من الأمم. قال ابن حزم: نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الاتصال، خص الله به المسلمين، دون سائر الملل وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[(١)] ولولا معرفة الرجال والبحث في الأسانيد لكثر الادعاء والكذب، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: " الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[(٢)]، وقد كان لعلماء الغرب الإسلامي اهتمام بكتب الرجال فنجد في مروياتهم كتب الرجال، فهذا أبو العباس العزفي يروي كتب عدة في علم الرجال والطبقات فمن مروياته: كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر سمعه من ابن الحجري وسمع منه كتاب "الكنى والأسماء" لمسلم، وقرأ الطبقات له، وسمع أيضا منه الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى

---

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، تح مصطفى شيخ ط مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان-ط١/١٤٢٥هـ٢٠٠٤م، (٣٣٩-٣٤٠).

(٢) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، تح السيد أحمد صقر ط دار التراث – القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ- ١٩٧٠م، (١٩٤)، وذكره مسلم بأسناده في مقدمة صحيحه، ينظر: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تح خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة بيروت لبنان، ط١٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، (٤٧/١).

والأنساب، لأبي نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا وتقييد المهمل وتمييز المشكل للغساني.[١]

المبحث الرابع: ثقافته الحديثية و أثرها في مؤلفاته

من خلال الرجوع إلى كتبه وخصوصا كتاب دعامة اليقين، وكتاب إثبات ما ليس منه بد، يتبين للقارئ النَّفَس الحديثي عند المؤلف، وذلك لاتباعه قواعد الإسناد ومنهج المحدثين، ويمكن تلخيص المنهج الحديثي الذي سلكه أبو العباس في النقاط الآتية:

١- حضور المصادر الحديثية بقوة في استدلالاته الشرعية، واعتماده على أحاديث الصحيحين فمثلا في كتابه دعامة المتقين كانت عنايته الأولى بالاستدلال بأحاديث صحيح البخاري، ومسلم فقد نقل عنهما في هذا الكتاب رغم حجمه الصغير أكثر من عشرين حديثا ثم يأتي موطأ مالك نقل منه خمسة أحاديث، ومن سنن الترمذي خمسة أحاديث، ومسند الإمام أحمد ثلاثة أحاديث، ومسند الحارث بن أبي أسامة حديث واحد، وسنن ابن أبي ماجة حديث واحد، أما كتاب إثبات ما ليس منه بد فقد نقل من الصحيحين أكثر من خمسة عشر حديثا، ومن النسائي ثلاثة أحاديث ومن الموطأ حديث واحد ومن مسند أحمد حديث واحد والترمذي أيضا حديث واحد، وسنن أبي داوود حديث واحد، وكان أكبر عمدته في نقل الأحاديث كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام أحال عليه أكثر من خمسة وعشرين نقلا وكذلك كتاب سنن البيهقي الكبير فقد نقل عنه أكثر من عشرة أحاديث.

٢- الحرص على تخريج الأحاديث وعزوها إلى كتبها التي نقلها منها، فتخريج الأحاديث له أهمية كبيرة وقد التزم أبو العباس بذكر المصادر الحديثية التي كان ينقل عنها، ومن الأمثلة على ذلك تخريجه لحديث: «الْمِيزَانُ عَلَى مِيزَانِ أَهْلِ مَكَّةَ،

(١) ينظر برنامج شيوخ الرعيني، (٤٤).

وَالْمِكْيَالُ مِكْيَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ». فقد خرجه عن النسائي وأبي عبيد والبيهقي في السنن الكبرى.(١)

٣- يسوق الأحاديث بأسانيدها وذلك في الغالب الأعم، وأحيانا يسوق سنده إلى صاحب الكتاب من كتب السنة، ومن صاحب الكتاب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن الأمثلة على ذلك الحديث الذي رواه أبو داود قال: "حدثنا الفقيه أبو محمد الحجري قراءة عليه، نا على بن موهب، نا أبو عمر ابن عبد البر عن أبي محمد بن عبد المؤمن عن أبي بكر محمد بن داسة قال نا أبو داود نا أيوب بن محمد الرقي، نا محمد بن عبيد نا إدريس بن يزيد الأودي عن عمرو بن مرة عن آبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري يرفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال(٢): " لَيسَ فيما دُونَ خَمسةِ أوسَاقٍ زَكاة "(٣)

٤- العناية الفائقة في ضبط متون الأحاديث، ومن الأمثلة على ذلك ضبط لفظ الأوسق، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "جاء في الصحيح: الأَوْسُقِ المُوَسَّقَةِ(٤) فسر بالمجموعة والمضمومة. وجاء جمعه على أوساق وأوسق وبالفتح قيدناه عن متقني شيوخنا وقيده بعضهم بكسر الواو"(٥) ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ في ضبط لفظ الجِلاب التي وردت في الحديث: " قال الحلاب بالحاء المهملة المكسورة إناء يسع حلبة ناقة، وهو المِحْلَب بكسر الميم ...وقد قال فيه بعضهم إنه ضرب من الطيب وإليه ظهر ميل البخاري أبي عبد الله، والمعروف في اسم الطيب المَحْلَب بفتح الميم وهو حب طيب الريح معروف قال: كطحين الرَّحا حَبَّة المَحْلَب وقال الشاعر:

---

(١) إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، أبو العباس أحمد العزفي، تح: محمد الشريف ط المجمع القافي الامارات، ط١٩٩٩م ، (٣٦).

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الزكاة باب ما تجب فيه الزكاة رقم ح (١٥٥٩) شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، (٨/٣).

(٣) إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، (٥٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب تفسير العرايا، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، (٧٦/٣).

(٥) إثبات ما ليس منه بد، (١٣٣).

قلوبهم عند وقع القتا ** ل أصغر من حبة المحَلب.

رواه بعض الرواة الجلاَّب بالجيم وهو ماء الورد بالفارسية ولعل احدهما تصحيف وهذه الرواية بالجيم تقوي تأويل من قال في الجِلاب ضرب من الطيب وذكر الهروي رواية مبنيَّة إن صحت وهي أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «كان إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ، دَعَا بِشَيْءٍ نَحْوَ الجِلاَبِ»[١] والله أعلم"[٢]

٥- التنبيه على اختلاف الروايات فمثلا يورد الحديث برواياته المختلفة، وينبه على الزيادات الواردة وكشاهد على ذلك أنقل عنه ما يلي: "وفي حديث أبي ذر عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قلت: يا رسول الله الرجل يعمل العمل ويحبه الناس؟ قال: ذلك عاجل بشرى المؤمنين. وعن عطاء: البشرى في الحياة أن يأتيهم الملائكة بالرحمة لقول الله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠], وقيل هي الرؤيا الحسنة يراها المسلم أو تُرَى له، تظاهرت بذلك الأحاديث عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من طريق أبي الدرداء وعمر بن حصين وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سئل عن هذه الآية ففسرها بالرؤيا وفي بعض ألفاظه «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ»[٣]، وفي صحيح مسلم عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»[٤]، وروت عنه أُمِّ كُرْزٍ

(١) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب من بدأ بالحلاب أو الطيب عند الغسل، ح (٢٥٨)، (١/٦٠).

(٢) إثبات ما ليس منه بد، (١٣٤).

(٣) شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، باب تعديد نعم الله عز وجل، فصل في الرؤيا التي هي نعمة من نعم الله تعالى رقم ح(٤٤١٩)، تح عبد العلي عبد الحميد حامد، ط مكتبة الرشد الرياض، ط/١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، (٦/٤١٣) وقد أورد البيهقي جُل أحاديث الصحابة الذين ذكرهم أبو العباس.

(٤) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القران في الركوع، رقم ح (٢٠٧)، (٤/٤١٩).

أنه قال: «ذَهَبَتْ النُّبُوَّةُ، وَبَقِيَتْ الْمُبَشِّرَاتُ»[١] وعن قتادة والضحاك[٢]: "البشرى في الدنيا هي ما يبشر به المؤمن عند الموت وهو حي عند المعاينة ويقوى إنها بشائر القرآن ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس: ٦٤]، ويعارض هذه الأقوال كلها ما هو أولى منها تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للبشرى في الحياة الدنيا بالرؤيا إلا أن يقول قائل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى مثالا من البشرى، والآية تعم ما قاله جميع الناس، وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي لا خلف لمواعده ولا راد لأمره، والفوز العظيم إشارة إلى التعميم الذي وقعت به البشرى."[٣]، فأبو العباس من خلال هذا النص يحاول تفسير معنى لفظ البشرى الذي ورد في حديث أبي ذر؛ فجاء ببعض الآثار والأحاديث فيها زيادة في المعنى والمبنى تفسر لفظ البشرى الوارد في حديث أبي ذر، وهذا مما يدل على سعة اطلاعه على متون الأحاديث واستحضارها لرفع إشكال، وتبيين مجمل مع إتقانه الصناعة الحديثية، فرحم الله الشيخ أبا العباس العزفي، وأسكنه فسيح جناته.

خاتمة

وبعد فقد حاولت هذه الورقات الإجابة عن إشكالية القضية المبحوثة، وانتهت إلى النتائج الآتية:

١- التعريف بأبي العباس العزفي رغم قلة المعلومات المتوفرة عنه في المصادر التي وقفت عليها في ترجمته.

٢- إن الشيخ أبا العباس العزفي برهن، من خلال جهوده في الحديث على سعة علمه واطلاعه، وأثبت وجوده في الساحة العلمية الحديثية.

---

(١) سنن ابن ماجه، أبواب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، رقم ح (٣٨٩٦)، تح شعيب الارناؤوط وآخرون، ط الرسالة العالمية، ط١/١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، (٥٧/٥)، قال المحقق: صحيح لغيره.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن بن عطية تح: عبد السلام عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ط/١ - ١٤٢٢ هـ، (١٢٩/٣).

(٣) دعامة اليقين في زعامة المتقين، (٦٨-٦٩).

٣- التنويه بمنزلة أبي العباس العزفي العلمية، مشيخة، وطلبا للعلم ورواية لبعض الكتب الحديثية.

وأخيرًا أقول إن من شأن المبتدئ العثرة في التحليل، والسهو والتقصير في الدراسة، فإذا كان هذا واقع هذا البحث فأطلب الإقالة منه، والاستفادة بملاحظة أو تعقب أو معلومة، أسأل الله التوفيق والسداد، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سلسلة بحثية حول الإجازات والأسانيد القرآنية

تعريف الإجازة القرآنية

(١)

فؤاد محمد خطاب الجابري الدمنهوري
الباحث في أسانيد القرآن الكريم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإنه بفضل الله توجد في أيامنا هذه نهضةٌ قرآنية في كثير من البلاد الإسلامية من مظاهرها اهتمام وزارات الأوقاف الإسلامية بإنشاء المعاهد والمراكز القرآنية وإقامة المسابقات ورعاية أهلها، هذا إلى الاهتمام بإقامة المراكز والمبرات القرآنية والجمعيات الأهلية، ومن ثمرات ذلك ازدياد الإقبال على كتاب الله تعليما وتعلُّما، واهتمام الناس بتحصيل الإجازة القرآنية، حتى لا تكاد تخلو ساعة من مجاز برواية أو قراءة، ولذا كانت هذه السلسلة البحثية حول الإجازة القرآنية تبين مسائلها، وتجلي أحكامها، سائلين المولى سبحانه- التوفيق والسداد.

تعريف الإجازة القرآنية[١][(١)]:

لم يؤثر عن أحد من متقدمي القراء تعريفًا خاصًّا للإجازة القرآنية، وإن كان صنيعهم فيها لا يخرج عن صنيع المحدثين، من كونها: **إذن بالرواية**، وقد عرفها المُحَدِّثون: **بأنها إذن في الرواية لفظًا أو خطًّا**، والإجازة في عرف المحدثين كما هو معلوم- **خالية عن العرض والسماع** [(٢)]، بخلاف الإجازة عند القراء إذ الأصل فيها

---

(١) هذا المبحث مستل من بحث: واقع الأسانيد القرآنية في العالم الإسلامي مشاكل وحلول، لكاتب هذا البحث: فؤاد خطاب الجابري، (ص٢٠).

(٢) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (ص٤٤)، كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي، (ص٢٩٥)، معجم مصطلحات أصول الفقه، د. قطب سانو، (ص٢٦).

عندهم أنها تكون بعد مشافهةٍ بعرض أو بسماع أو بكليهما مما سيأتي بيان مسائله لاحقا، وفيما يلي بيان معنى الإجازة عند القراء، مع بيان الفارق بينها وبين الإجازة عند المحدثين.

التعريف اللغوي للإجازة: تدل مادة (ج، و، ز) لغة على معان عدة، منها: وسط الشيء، العبور، الاستخلاف، التنفيذ، التسويغ، العطية، والسقاية.(١)

والملاحظ أن هذه المعاني قد نستشعرها في معنى الإجازة إذ المجيز وسط في السلسلة الإسنادية، يعبر بالمجاز، ويستخلفه، وينفِذُه، ويسوغ له التصدر، ويأذن له فيه، بل يمنحه عطية العلم ليسقي بها غيره.(٢)

تعريف الإجازة في اصطلاح القراء:

حاول القراء المُحْدَثُون تعريفها بتعريفات لم تخل من إيراد، ومن ذلك التعريف بأنها: «**في اصطلاح القُرَّاء: شهادةٌ من المُجيز للمُجاز لهُ في الإقراء**»(٣)، وهذا التعريف مأخوذ من كلام السِّيوطيُّ في الإتقان عند حديثه عن شرطية الإجازة في الإقراء بقوله: «**فجُعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمُجاز...**» (٤)، كما عُرِّفت بأنها: «**إثبات أهلية المجاز في نقل أداء القرآن**»(٥)، وعُرِّفت أيضا بأنها: «**الإذن للقارئ بإقراء رواية أو أكثر، ويشترط لها المشافهة، لأن في القراءات ما لا يحكم إلا بالمشافهة**».(٦)

ويلاحظ أن التعريف الأول غير جامع ولا مانع إذ الشهادة بالأهلية لا تستلزم الإذن بالرواية، فقد يشهد العالم لغيره بالأهلية ولا يأذن له بالرواية عنه، ومعلوم أن الإذن بالرواية هو مقصود الإجازة، فعدم النص على كون الإجازة إذن من المجيز للمجاز في التصدر والرواية- قصور في التعريف.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (٤٩٤/١)، القاموس المحيط، (ص٥٠٦)، لسان العرب لابن منظور، (٣٢٦/٥).

(٢) ينظر: الإجازة القرآنية لفهد الميموني، (ص١٣).

(٣) ينظر: إجازات القراء، د. محمد بن فوزان العمر في كتابه، (ص١٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٥) ينظر: الإجازة القرآنية لفهد الميموني، (ص٢١).

(٦) ينظر: مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، إبراهيم الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٨ م، (ص١٣).

وأما التعريف الثاني فكالأول؛ إذ لا يلزم من إثبات الأهلية الإذنُ بالرواية؛ فقد يزكي عالم غيره بإثبات أهليته في النقل القرآني، ولا يُعَدُّ هذا منه إذن في الرواية.

وأما التعريف الثالث فتعريف غير جامع لأن الإذن بالتصدر للإقراء لا يلزم منه الإذنُ بالرواية، فكان ينبغي النص على كونها إذن بالرواية كذلك.

التعريف المختار:[١]

والذي يظهر بعد النظر في إجازات المقرئين أنها تشتمل على أمور ثلاثة:

أولا: إثبات أهلية المجاز.

ثانيا: الإذن له في التصدر كنتيجة لأهليته.

ثالثا: الإذن له في الرواية من طريق الشيخ المجيز.

ولذا فالمختار في تعريف الإجازة القرآنية أنها: «**إذن بالتصدر والرواية لمتأهل في نقل القرآن الكريم**».

وبيان ذلك أنها: إذن ملفوظ أو مكتوب في التصدر والرواية من المجيز إلى المجاز المتأهل؛ فمعنى أن المقرئ قد أجاز الطالب أنه أذن له بسبب أهليته- في أمرين:

الأول: التصدر لإقراء القرآن الكريم.

الآخر: الرواية عنه بأسانيده.

والأصل في الإجازة القرآنية عند القراء أنها تكون بعد مشافهة بعرض أو سماع أو كليهما، فأما العرض فالأصل فيه أن يكون بقراءة الطالب القرآن الكريم كاملا غيبا حضورا على الشيخ، والعرض على الشيوخ مأخوذٌ به في كل عصر، وأما السماع فقد أُخذ في العصور الأولى سواء من لفظ الشيخ أو من لفظ غيره، ولكن العمل الآن في عصرنا ومنذ عصور على الأخذ بالعرض على الشيوخ دون السماع إلا بشروط تأتي لاحقا.

والإجازة عن مشافهة هي المعتبرة عند القراء في الأداء والرواية فيستحق صاحبها لقب المقرئ ويحق له حينئذ الجلوس لأداء القراءات لطالبيها، وأما الإجازة القرآنية غير

---

(١) واقع الأسانيد القرآنية في العالم الإسلامي مشاكل وحلول، كاتب هذا البحث: فؤاد خطاب الجابري، (ص٢٠).

المقرونة بعرض أو سماع أي الفاقدة للمشافهة فيعتبر سندها في الرواية دون الأداء ولا يستحق بها المجاز لقب المقرئ حتى يشافه بالقراءات، وتكون من باب المتابعات لأسانيد القراءات المروية بالمشافهة، وسيأتي بيان ذلك لاحقا.

ومما سبق يتبين لنا الفرق بين الإجازة في عرف القراء وعرف المحدثين؛ إذ بين الإجازة عند القراء والإجازة عند المحدثين اجتماع وافتراق.

فيجتمعان في أن كل منهما إذن بالرواية، ويفترقان في أمور:

أولها: أن الإجازة في عرف المُحَدِّثين- **هي الخالية عن العرض والسماع**، ثم درج المتأخرون منهم على شفع الإجازة بالعرض والسماع؛ جبرا للفوت ونحوه.

وعند المقرئين: الأصل فيها أنها إذن بالرواية والتصدر بعد مشافهة بعرض أو بسماع أو كلاهما- للقرآن الكريم.

ثانيا: أن الإجازة عند المقرئين لمن تأهل لإقراء القرآن الكريم والأهلية عندهم هي الإتقان حفظا وأداء وتحريرا، وأما الإجازة عند المحدثين فتكون لمن تأهل، ولمن لم يتأهل ولكن لكونه من طلبة العلم ويتوسم فيه المجيز النجابة؛ فيقرنها المحدِّث عندئذ بالشرط المعتبر، والذي فُسِّر عند بعض العلماء بضبط النسخة والرجوع فيما أشكل لأهل الإتقان، ولنا في تحقيقه بحث منشور.

ثالثا: عُرف المحدثين أن من سمع أو قرأ لا يحتاج إلى إذن ممن سمع عليه ليروي عنه بل له أن يقول سمعت، **بخلاف عُرف المقرئين في ذلك**- يعني المتأخرين الذين بعد الصدر الأول- فعندهم أن من سمع أو قرأ على المقرئ لا يستطيع بذلك أن يروي عنه- دون أن يأذن له في الرواية عنه، وإلا أُعتبر كاذب في الرواية عنه؛ إذ لم يأذن له، **وهنا فروق أخرى تظهر بالتأمل.**

ومما سبق يتبين لنا أنه لا يكفي الإذن بالتصدر وحده حتى يروي من أُذن له بالتصدر- عمن أَذِن له، وقد يخلط بينهما كثير من الناس فيظن أن إذن المقرئ له بالتصدر يُجوِّز له أن يروي عنه، وممن وقع في ذلك الشيخ: عبد الفتاح مدكور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد رَوى القراءات عن الشيخ العلامة: علي الضباع؛ لكونه أَذِن له بالتصدر للتعليم، ولا شك أن هذا خروج عن جادة القراء في الإجازة.

كما يتضح أيضا أن الشهادات التي تمنحها معاهد القراءات وكليات القرآن لا تكفي وحدها أن يروي بها الطالب عن شيوخه الذين تعلم القراءات فيها عليهم، وأن من روى بها القراءات قد خرج عن جادة القراء، ولم تصح روايته.

وأحب أن أنوه على أن الإجازات القرآنية المكتوبة وثائق هامة وتراث قرآني نادر متناثر في المكتبات العامة والخاصة، وبالرجوع لأصول هذه الإجازات القرآنية، وبجَمعها وسَبْرِها، والمقارنة بينها وتحقيقها؛ تحل إشكالات كثيرة في أسانيدنا المعاصرة.

وفي الإجازة القرآنية مسائل كثيرة سيأتي بيانها تباعا بإذن الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وصحبه وتابعي منواله، والحمد لله رب العالمين.

أسـوار الهـويـة
مشـــروع إعلامـــي

م.د طارق موسى عبدالله

تعريف الهوية:

هي صفات ومقومات تتشابه فيها مجموعة من الأفراد كالعرق والدين واللغة والمصالح، ومدى تفاعلها مع غيرها من الهويات الأخرى في إطار مصالح مشتركة. وقد تنتج هذه الهوية نتيجة عرق معين أو مكان جامع أو دين أو تضاد فكري مع الآخر .... الخ من الأسباب.

جاءت فكرة العنوان من حوادث بغدادية أبان التسلطات والاحتلالات الأجنبية منذ العهد البويهي وحتى فترة قريبة جدا من الاحتلال الإنكليزي، فبسبب الاختلاف العرقي والفكري والديني بين سكان بغداد وبين المتسلط الأجنبي ظهرت الكثير من الصدامات الدامية خصوصا خلال الاحتفالات الدينية وإجبار سكان بغداد على مشاركتهم احتفالاتهم وبالقوة بل وصل بهم التطاول حتى على نساء بغداد في منظر يتمنى صاحبه الموت على هكذا إذلال، الأمر الذي دفع بسكان بغداد إلى بناء أسوار تحيط أحياءهم السكنية، ولها باب واحد تحمي سكان الحارة أو الحي من هجمات مليشيات المتسلط الاجنبي، وتحافظ على النسيج الاجتماعي والفكري لسكان الحارة.

من هنا كان عنوان المشروع (أسوار الهوية).

تعريف النخبة الفكرية:

النخبة الفكرية في تعريفها التقليدي هم حملة الشهادات الأكاديمية.

لكني أرى ان تعريف النخبة الفكرية تعني (الإيجابية) المرافقة للتحصيل العلمي، لأن التحصيل العلمي يطلب لأسباب عدة منها مالية أو اجتماعية وهذه مصالح فردية، بينما الإيجابية هي الأقدر في التأثير على أفكار المجتمع.

تحليل ومو اقف:

في دراسة بيانية معاصرة لتاريخ العراق خلال (الحقبة المظلمة) امتدت من سقوط الخلافة العباسية على يد الاحتلال المغولي عام ٦٥٦هـ – ١٢٥٨م وحتى دخول الاحتلال الصفوي للعراق عام ٩١٤هـ – ١٥٠٨م، تساءل فيها الباحث عن سر قوة هوية المجتمع العراقي وعدم ذوبانها في بوتقة المحتل، في وقت فقدت فيه الكثير من دول الجوار هويتها العرقية والدينية بل والاجتماعية. شملت الدراسة جميع النواحي الحياتية السياسية منها والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية والفكرية, فكانت موضحة في رسم بياني, يظهر في نتائجه اضطرابا كبيرا في الرسم البياني وعلى جميع النواحي أعلاه بين صعود ونزول وعلى جميع الاصعدة، إلا الحياة الفكرية التي تمثلت بخط مستقيم على طول (الحقبة المظلمة) كون أن المؤسسات الفكرية بما مثلته من مدارس وعلماء ومساجد ومدارس علمية آنذاك كانت تتمتع بالاستقلالية التامة عن عطايا الحكام فكان لها الدور الأبرز في رسم وتحصين اسوار الهوية والعبور بها الى بر الأمان، أي أن النخب الفكرية هي الأجدر والأقدر في الحفاظ على هوية المجتمع.

ولما سأل خطيب بغداد أبان الاحتلال المغولي الإمام ابن تيمية هل من الممكن جمع الناس والقيام بثورة مسلحة ضد الاحتلال المغولي على أن يضمن لهم الإمام ابن تيمية مشاركة الجيوش المصرية لذلك؟ أجاب الإمام أن الجيوش المصرية منشغلة بالحروب ضد بقايا الصليبية، ومن الأجدر بأهل بغداد طلب العلم (والحفاظ على الهوية الإسلامية) على القيام بثورة مظنة الهلاك، فالقوة الفكرية هي موازية لقوة السلاح في نظر الإمام ابن تيمية والتي نتج عنها فيما بعد ذوبان العنصر المغولي في المجتمع العراقي.

معلومة عامة: قامت وزارة الدفاع الامريكية بنشر اكثر من (٥٠٠٠) خمسة آلاف بحث عن أسباب إسلام المغول في العراق وكيفية تحصين الجندي الامريكي، وكان ذلك عام ٢٠٠٢م قبيل الغزو الأمريكي للعراق.

يظهر لنا معرفة الإمام ابن تيمية لدور النخب الفكرية وقوتها في تغيير مسارات التاريخ.

الهدف: تحصين فكري للمجتمع العراقي المسلم ضد التيارات الفكرية الدخيلة، والحد من الانجرار وراء المظاهر الخداعة والتقليد الأعمى.

الملخص التنفيذي:

١- إنشاء مجلس نخبوي تشاوري لوضع الهدف الاستراتيجي للهوية والأهداف المرحلية وتحديد الفئات المستهدفة من الخطاب التي تواجه التغيرات العالمية والدولية، وتكون لقاءاته دورية لتقييم وتصويب وتجديد الأهداف المرحلية والابتعاد عن ردود الأفعال الآتية القصيرة للتحديات المرحلية التي قد تضر بالأهداف العامة.

٢- أن النخب الفكرية بحاجة إلى مؤسسة إعلامية محترفة وقادرة على تبني أفكار هذه النخب الفكرية وإظهارها في إطار إعلامي ناجح يرتقي لمستوى الاحترافية، وتسويقها إعلاميا لبقية القنوات وتحقيق الأرباح المادية من خلال الاستشارات القانونية أو السياسية أو البرامج الوثائقية أو المساهمة في صناعة الرأي العام بما يتلاءم مع الهدف الاستراتيجي للهوية.

في مقابلة تلفزيونية سأل صحفي الرئيس الامريكي روزفلت عما اذا قامت ثورة ضده فما يحتاج لإخمادها الشرطة ام الجيش؟ أجاب: التلفزيون.

٣- صناعة قاعدة نخبوية صادقة (قدوات) ومتنوعة التخصصات تؤمن بالأهداف العامة للهوية، وتساهم في رفد المشروع بكل ما هو مفيد.

٤- تسويق الفكرة والبحث عن مستثمر يضمن له أدنى مستوى من الأرباح حتى الوصول إلى مستوى الاستقلالية المادية.

لإنجاح مشروع أسوار الهوية يجب مراعاة ما يلي:

١- الإعلام هو جزء لا يتجزأ عن الخطاب النخبوي، بل هو أصل من أصول انجاح مشروع الخطاب النخبوي، لأن الإعلام وببساطة الإثارة والتكرار، وهناك قاعدة إعلامية مفادها أن **(ما تكرر تقرر)** وعليه بالإثارة والتكرار يمكن صناعة الرأي العام المناصر للهوية وللأهداف الاستراتيجية.

٢- ومما تقدم يجب الابتعاد عن الخطابات الوصفية السردية للأحداث التي لا يفهمها إلا القلة من الناس والتوجه نحو فلسفة الأحداث والمصطلحات مدعومة بالإثارة وبكل ما هو جديد.

٣- ان الخطاب النخبوي يجب أن يلائم الهدف الاستراتيجي والمرحلي للهوية.

٤- مراعاة تنوع المجتمع العراقي إذ لا يمكن اطلاقا سلخ هوية من هويات المجتمع عن أخرياتها والعيش في عزلة تامة، إذ يجب هنا على النخبة الفكرية الحفاظ والدفاع عن الهوية الأم على ألا تغفل تفعيل المشتركات مع الهويات الفرعية الموجودة في البلد، والابتعاد عن الأسلوب التصادمي في طرح الافكار.

٥- يجب أن يكون الخطاب بمستوى المتلقي المستهدف لا أن يكون أكاديميًا بحتًا بعيدًا عن فهم الشارع، وهذا ما نشاهده فيمن يمثلون أهل السنة والجماعة فصيحًا عاليًا وبعيدًا عن أُذن وفهم السامع. وهذه المشكلة تخلق حاجزًا بين المخاطِب والمخاطَب فتنتفي النخبوية والإيجابية في الموضوع.

٦- مراعاة تنوع فئات الهوية الواحدة وطبقاتها في الخطاب النخبوي، وهذا يضيف تحديا على الخطاب الناجح، لأنها وببساطة كل فئة من فئات الهوية الواحدة لها مصالحها وأهدافها ومستواها الثقافي ضمن اطار الهوية الجامعة، وعليه صناعة قدوات اعلامية نخبوية قادرة على توجه كل فئة على حدى وفق المسار العام لمحددات الهوية الجامعة والأهداف الاستراتيجية، فبدون الأهداف

الاستراتيجية لا يمكن للنخبة ان تسير بشكل خط مستقيم، بل ستكون عبارة عن انفعالات آنية قصيرة التأثير.

من أمثلة البرامج الهادفة:

١- برامج تعنى بتاريخ العوائل العلمية والعشائرية لإثبات هوية المنطقة.

٢- تواريخ تعنى بالأحداث المشرفة لشخصيات مسلمة لتعزيز روح التفاخر والانتماء.

٣- برامج تعنى بالمناسبات الدينية بأسلوب وعظي هادف كمثال حلقات عن حياة الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الائمة، من هو؟ وما نسبه؟ ومن هم أولاده وزوجاته وأصهاره ومحل سكناه ومواقفه مع أقرانه من الصحابة.. الخ.

٤- برامج وثائقية عن مدارس ومساجد البلاد الأثرية والتي تعد هوية للمدينة بأسلوب تشويقي على غرار قناة ناشيونال جغرافي، تبعث روح الاعتزاز بالهوية المسلمة للبلاد.

٥- برامج تعنى بعلماء العراق المعاصرين الأحياء وتسويقهم إعلاميا، أي خلق قدوات للمجتمع ولكي يعلم العوام علماءهم ويحفظوا لهم مكانتهم.

النتائج:

صناعة قدوات على درجة عالية من الحرفية والمصداقية ونكران الذات، تعي أهداف المشروع العامة والمرحلية، وتترجمها في خطاباتها اليومية، مدعومة بمؤسسة إعلامية على درجة عالية من المهنية والاحترافية والمصداقية، تأخذ بيد الشارع المسلم نحو بر الأمان في خضم الأمواج الفكرية المتلاطمة.

البعد المقاصدي للسنة النبوية وأثره في التشريع

الدكتور حسن عنقوري
باحث جامعي
akourichercheur@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدِنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

تعالج الدراسة الحالّية موضوع السنة النبوية وفق مقاصد الشريعة، لما للبعد المقاصديّ من اتساع يمكّنُ من استيعاب نصوص السنة النبوية، باعتباره من الأدلة المتصلة بالنصوص الشرعية، فهو مرتبط بأسس واضحة في نصوص القرآن والسّنة وعمل الصحابة، وأقوال العلماء الفحول الذين أسسوا صرْح هذا الفن، وسأبيّن في هذه الدراسة فقه مقاصد السنة النبوية، مبرزا أثره في تشريع الأحكام تحديدا.

➢ **مقدمة:**

لا شك أنّ إعمال مقاصد الشريعة في السنة النبوية باعتبارها أصلا للتشريع، يعدُّ منهجا وسطا في تجسيد الأحكام على واقع الناس ومعاشهم دون الإفراط في الأخذ بظواهر النصوص والجمود عليها، ودون التفريط المفضي إلى التقليل منها وسوء تنزيلها تنزيلا صحيحا، وهذه الوسطية لا يستطيع التصدر لها إلا العلماء أهل الخبرة.

ويُجيب هذا البحث تحديدا عن إشكالية، مفادها اعتبار مقاصد الشارع مرْجعا في إبراز الجانب التشريعي للسنة النبوية، كما تعالج هذه الإشكالية بعض المحاور اقتصرت عليها في هذا البحث الموسوم.

-اشكالية البحث:

إلى أي حد يمكن أن تُجسّد السنة النبوية الجانب التشريعي؟

وما أهمية مقاصد الشريعة في فهم وتأصيل السنة النبوية، وتنزيل تشريعاتها على الواقع؟ **ما أثر السنة النبوية في تشريع الأحكام؟**

وما هي تجليات البعد المقاصدي للسنة النبوية مبرزا أثرها في التشريع؟

-الكلمات الافتتاحية: الجانب التشريعي في السنة، اعتبار السنة الأصل في التشريع، أهمية مقاصد الشريعة ودورُها في التشريع بمقتضى السنة النبوية.

-منهج البحث: يتبع معالجة هذه الاشكاليات الاعتماد على المنهج الاستقرائي الذي يقتضي تعميم الدراسة الخاصة على الدراسةِ العامة للموضوعِ، وذلك من خلالِ إنتاجِ ملاحظات واسعة وتحويلها إلى مضامين عامة، بهدف تحدِيد مسار الموضوع، والانتقال منَ الجزءِ نحو الكلِّ، ثم اعتمدت المنهج الاستنباطي الاستدلالي، وهو الذي يختلفُ عن المنهجِ الاستنباطي –الاستنتاجي–، باعتبارِ تجزئة القاعدة الكليّة على الجزئية من إدراج مجموعةٍ منَ الملاحظات التي تشكِّلُ القاعدة الكليّة، كما أنّ هذا المنهج يسعى إلى دراسةِ موضوع البعد المقاصدي للسنة بشكلٍ كليٍّ انطلاقًا منَ المعارفِ العامة المبنية على واقع الدراسة، وبعدَ ذلك الانتقال إلى دراسةِ أثرها في التشريع، ويمثل ذلك مغزى الموضوع، توصلا منْ خلالِ ذلك ببعض الاستنتاجات. كما اعتمدت المنهج التحليلي الفلسفي، ومعلوم بأن الفلسفة هي أداة التفكير في المعرفة، والمنهج الفلسفي فكر يبحث في السنة وقضايا المسلمين المستجدة، للوصول إلى النتائج، يقتضي استخدام الدليل العلمي والمنطقي، كما أنّ المنهج التحليلي يرتبط بمناهج أخرى، نظرا لارتباطه بالمنهج الفلسفي، فقد ارتأيت استعمال المنهجيْن، بحكمِ أن الأمر يبدو جلياً أمام مواقف فلسفية مستوحاة من واقع الناس، نطبق عليها المنهج التحليلي الفلسفي، على اعتبار أنّ علاقة الفلسفي بالتحليلي علاقة موضوع وليستْ نسبة وظيفة، كما هو الحال في كل القضايا الفلسفية، لذلك يمكن القول بـ - منهج تحليلي فلسفي-، لدراسة حيثيات علم مقاصد الشريعة قصد الوصول إلى استنتاج مفاده بلوغ ذلك على مستوى تشريع السنة النبوية.

في العدد الأول سنقدم هذه المحاور من هذا البحث الموسوم وهي على النحو الآتي:

- **مفهوم مقاصد الشريعة الاسلامية وأهميته في السنة النبوية**

المقصد والقصد في اللغة: مشتقان من الفعل –قصد-، والقصد له معان عديدة، أهمها: الاعتزام، والتوجه إلى الشيء، يقال: قَصَده، وقَصَد له وإليه: إذا أَمّه

وتوجه إليه. والشريعة مشتقّة من –شرع-، وهي في أصل اللغة مورد الشاربة، ثمّ هي ما سنَّ الله لعباده من الدين.[١]

وأما **مقاصد الشريعة في المدلول الاصطلاحي** فهو حسب تعريف القدامى كالغزالي[٢] والآمدي[٣] والشاطبي[٤]: المعنى العام المتمثل في جلب المصالح ودرء المفاسد. وعرفها د. أحمد الريسوني بأنها: "الغايات التي وُضِعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد".[٥]

وهذا تعريف جامع مانع يشمل معناها ودلالاتها كما أنه يشمل المقاصد العامّة والخاصة والجزئية، المرتبطة بمصلحة العباد في الدنيا والآخرة. إنّ الحديث عن مقاصد الشريعة ينصرف عادة إلى حفظ الضروريات التي تستقيم عليها حياة العباد في معادهم ومعاشهم، وتتحقق عليها مصالح الدين في الدنيا الآخرة، وأنّ غياب الضروريات مدعاة إلى فساد حياة العباد، وأما حفظ الحاجيات فهو مقصد شرعي أقرّه الشارع الحكيم في نصوص كثيرة، بقصد رفع الحرج ودفع المفاسد، وجلب التيْسير والمصالح، وأما مقصد حفظ التحسينيات –الكماليات– فهو مقصد يشمل مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال كردّ السلام وغيرها من الفضائل فغيابها يعتبر نقيصة ومن خوارم المروءة.

لم يرد تعريف مضبوط للمقاصد عند السابقين من الأصوليين والفقهاء: "لكوْن أمر المقاصد لم يكن بالوضوح والاستقلال كفكرة لها باب خاص أو مباحث خاصة في

١- الصحاح، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، ١/٢٥٣؛ تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مادة: - ش ر ع-؛ معجم مقاييس اللغة، مادة: - ش ر ع-

٢- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ١/٤١٦-٤١٧.

٣- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي ت٦٣١ هـ، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٣/٢٩٦.

٤- الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٣/١٧.

٥- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا بالولايات المتّحدة الأمريكية، ط٤، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٩.

كتبهم، اللهمّ إلا عند الكلام في مباحث المصلحة وبخاصة في باب القياس، فيعرفون المصلحة، بينما كلمتيْ: مقاصد الشريعة أو ما قاربها من الألفاظ فكانت تأتي في معرض الكلام لا على أساس مفهوم مضبوط هو عنوان مبحث أو قاعدة يندرج تحتها معنى كبير كأمر القياس، أو الإجماع مثلا، ولم تستقل أو تفرد المقاصد بالبحث إلا مع العزّ بن عبدالسلام -سلطان العلماء- صاحب قواعد الأحكام في مصالح الآنام."[١]

فقد ورد لفظ -المقاصد- في قوله تعالى: ﴿واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[لقمان: ١٩]؛ ولفظ: "(اقْصِدْ) فِي مَشْيِكَ و(اقْصِدْ) بِذَرْعِكَ أَيِ ارْبَعْ عَلَى نَفْسِكَ. و(الْقَصْدُ) الْعَدْلُ."[٢]

الملاحظ في مدلول المقاصد –باختصار–،كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[النحل: ٩] ؛وقد جاء في لسان العرب هذا المفهوم: "القصد استقامة الطريق، أي على الله تبيّن الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، القصد الوسط بين الطرفين، إتيان الشيء، القصْد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بيْن الإسراف والتقتير."[٣]؛ وباعتبار أن مفهوم المقاصد مرتبط بـ المقاصد، فقد ورد لفظ (ش رع) كما في المعجم: ما شرعه الله لعباده من الدين أو ما سنّه من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج وسائر أعمال البرّ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لايَعْلَمُونَ﴾[الجاثية: ١٨] ؛فإنّ: اشتقاقها منْ- شرع الشيء- ،بمعنى بيّنه وأوضحه، أو هو من الشِّرعة والشريعة بمعنى الوضع الذي يوضع منه إلى ماء معين لا انقطاع له ولا يحتاج وارده إلى آلة[٤]؛ وقال د. القرضاوي: "الشريعة ما

١- طرق الكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية–دراسة مقارنة بين مسلك الإمام الشاطبي ومسلك الإمام الطاهر بن عاشور، د. نور الدين مصطفاي، ط عمان، دار النفائس، الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٨ (بتصرف).

٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي، ت٨٢١هـ، تحقيق: محمود خاطر، ٢٢٤/١، طبعة جديدة مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ت٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت، ب.ت، ٥٠٤/٢.

٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: أمين عبدالوهاب محمد العبيدي، مادة: ق ص د.

٤ – معجم ألفاظ القران الكريم، إصدار معجم اللغة العربية، مادة: ش ر ع.

شرعه الله من الأحكام الثابتة بالأدلة من الكتاب والسنة، وما تفرّع عنها كالإجماع والقياس والأدلة الأخرى."[١]

قال محمد شلتوت: "يقصد بالشريعة في المدلول الاصطلاحي مجموعة الأحكام والقواعد الشرعية التي سنّها الله والتي بلغت عن طريق الرّسل، وتحتوي من الأحكام ما ينظم علاقة الإنسان بنفسه ثم بربه ثم بأخيه الإنسان وبالجماعة التي يعيش فيها."[٢]

وقال الشاطبي: "إنّ هذه الشريعة المباركة معصومة، كما أنّ صاحبها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصوم وكما كانت أمته، فيما اجتمعت عليه معصومة."[٣]

لهذا سأبيّن أهمية مقاصد الشريعة في التشريع من خلال أقوال العلماء الذين لهم باع طويل في معرفة هذا الفنّ، قال ابن القيّم ٧٥١هـ: "هو الفقه الحيّ الذي يدخل على القلوب بغير استئذان."[٤]؛ وقال الشاطبي ت٧٩٠هـ: "المقاصد أرواح الأعمال."[٥]؛ وقد جعل د. الريسوني في تعليقه على هذا القول: "إنّ العجب أن يعيش الإنسان بلا مقاصد، أي بلا أرواح، فالفقه بلا مقاصد فقه بلا روح، إنْ لم نقل إنه ليس بفقيه، والمتدين بلا مقاصد متدين بلا روح، والدعاة إلى الإسلام بلا مقاصد هم أصحاب دعوة بلا روح، فإننا نتفقه حقيقة ونتدين حقيقة وندعو إلى الإسلام حقيقة."[٦] ؛وقال أيضا في تعريفه المقاصد: "فمقاصد الشريعة، أو مقاصد الشرع، هي المعاني والغايات والآثار والنتائج التي يتعلق بها الخطاب الشرعي والتكليف الشرعي، ويريد من المكلفين السعي والوصول إليه."[٧]

١- مدخل لدراسة الشريعة، د. يوسف القرضاوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢- الإسلام عقيدة وشريعة، محمد شلتوت ت١٣٨٢هـ، ط٢، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص١٠٢.

٣- الموافقات في أصول الشريعة، أبي اسحاق الشاطبي، تحقيق: عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م، ٢/٥٨.

٤- أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن القيّم الجوزية ت٧٥١هـ، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ٣/٦٣.

٥- الموافقات، الشاطبي، ٢/٣٤٤.

٦- مدخل إلى مقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، ط١، دار الكلمة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص١٧

٧- نفسه، ص٩.

لذلك فإنّ فمعنى الخطاب أو مقاصد الخطاب: "يقصد به النص الشرعي خطاب الشارع ودلالته اللّغوية والشرعية والاصطلاحية، ومقاصد الأحكام هي جملة مقاصد الأحكام الشرعية المستمدة من أصول التشريع."[١]؛ وأصول التشريع هما الكتاب والسنة، وباعتبار أنّ مقاصد الشريعة هي مقصود الشارع في تحقيق الأهداف الشرعية والمقاصد العامة، لأنّها الأحكام العامة والكليّة في كل التشريعات، وقد اعتبر ابن عاشور مآل إهمال المقاصد الشرعية: ".. واحدا من الأسباب الرئيسة في تخلف الفقه وجموده."[٢]

- **مفهوم السنة النبوية و أنواعها**

قد عرف عبدالوهاب خلاف، لفظ السنة في اللغة العربية الطريقة، وفي الاصطلاح الشرعي، هي ما صدر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير.[٣] ومفهوم السنة يقصد به في لسان العرب السيرة والطريقة[٤].

وتتكون السنة النبوية من أنواعٍ قد حددها الأصوليون، ومنهم عبدالوهاب خلاف[٥]: السنن القولية هي أحاديثه التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات. مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لا ضرر ولا ضرار][٦] والسنن الفعلية هي أفعاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل أداءه الصلوات الخمس وأداءه مناسك الحج، ثم السنن التقريرية هي ما أقره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما صدر عن بعض أصحابه من أفعال وأقوال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقة وإظهار استحسانه، مثل حديث معاذ بن جبل الأنصاري لما بعثه رسول الله

١- أصول الفقه، محمد أبو زهرة ت١٣٩٤هـ، (مقاصد الأحكام)، ب.ط، دار الفكر العربي، ب.ت، ص٣٦٤.

٢- مدخل إلى مقاصد الشريعة، د. الريسوني، ص١٤.

٣- علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، ط ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، القاهرة، ص٢٧ (بتصرف).

٤- لسان العرب، ابن منظور، مادة: س ن ن.

٥ - علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، ص٢٧ (بتصرف).

٦- الموطأ، مالك بن أنس، كتاب الأقضية، رقم:٣١ (عن عمرو بن يحي المازني عن أبيه وهو مرسل.)؛ السنن، الإمام الدارقطني، كتاب الأقضية، رقم:٨٦؛ المستدرك، الإمام الحاكم، كتاب البيوع، رقم: ٥٧٧، باب النهي عن المحاقلة؛ السنن الكبرى، الإمام البيهقي، كتاب الصلح، ٦/٦٩-٧٠، وكلهم من طريق الدراوردي عن عمرو بن يحي المازني عن أبيه، (عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الى أرض اليمن قال له بما تقضي؟ قال أقضي بكتاب الله، فإنْ لم أجد فبسنة رسول الله، فإنْ لم أجد أجتهد رأيي. فأقرّه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله.

بهذا القدر أكتفي وإلى العدد القادم سنواصل تتمة المحاور حسب هذا البحث.

فوضى
الإستدلال العلمي الشرعي

د. مجيد المساري

لكل علم، وصَنعة ضوابط، وقواعد تقوم عليها تلك الصَنعة، وأي مخالفة لتلك القواعد، والأسس ستكون المُخرجات فوضوية (!) تزداد حسب قيمة الأساس، والقاعدة المُهملة.

فالعلم الشرعي والاستدلال به؛ له ضوابطه، وقواعده التي يجب السير عليها والالتزام بها في حكم هذا التطور، والانقلاب التكنلوجي الذي اختصر الزمان، والمكان في وصول المعلومة وخاصة الدينية وأعني وصولها للمختص وغير المختص وهذا في ظاهره شيء طيب، ولكن الأمر ليس كذلك (!) لأنّه أصبح الجاهل، والعالم له حق امتلاك المعلومة، والخطر يكمن عند الجاهل، وأقصد بالجاهل غير المختص؛ لأنّ امتلاكه للمعلومة بهذه السرعة الرهيبة ووصولها له لا تعني غالبا فهمه لها؛ لأنّه غير مختص وهنا وقع الخطر وأحدث الفُوضى؛ لأنه سيستدل بها على أمر شرعي حصل أمامه ولو أنّه رجع للمختص للاستفسار عن هذه المعلومة، وماذا تعني، وكيف يمكن توظيفها؟! لأراح واستراح، ولكنّ الخطر عند الجاهل الذي يرى لنفسه الأهلية للاستدلال بها فيما فَهم (!)

ومن باب حُسن الظن أنّ هذا الجاهل غير المختص في الغالب يبحث عن الحق ولكن أخطأ الطريق، نسأل الله لنا وله الصواب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المعلومة التي وصلت له أنواع:

فقد تكون: فتوى لمُعاصر موجود بيننا الآن، أو قد يكون مات منذ عشرين، أو أربعين، أو حتى مئة سنة فهؤلاء لا يحسبون على المتأخرين والذين يبدأ تأريخهم من سنة (٣٠٣) للهجرة في حين كل من كان قبل هذا التأريخ هو متقدم، فللمتقدمين السبق، والفضل في العلوم.

نرجع في حديثنا لقضية الاستدلال بكلام المعاصرين:

فعند الاستدلال العلمي والمنهجي لا يمكن تقديم المتأخرين الذين يعتبرون أعلى درجة من المعاصرين على المتقدمين وضرب أقوالهم، وخاصة اذا كان لهم قول في المسألة؛ لأنّ هذا يُعتبر من-الفُوضى في الاستدلال العلمي- ولأنّ المتقدمين من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ومن علماء السلف الكرام، والأئمة الأربعة المتبوعين الذين حفظ الله تعالى بهم الدين وكتب لهم القبول بين خلقه، لهم في الجملة مزية وفضيلة على المتأخرين، فكيف بك بمن يُقدم كلام المعاصرين وفتاواهم واجتهادهم على المتقدمين(!)

الإشكالية: إنّ الذين صنعوا "فُوضى الاستدلال العلمي" لا يعرفون خارطة هذا الاستدلال، وحيثياته، والعملية الهرمية لذلك يا أخوة إنّ المسألة هي أولوية الأقدمية في العلم.

وحتى يتجلى لك مقصدي تأمل هذه النصوص:

- قال مُجَاهِد المتوفى سنة (١٠٤) هـ: "ذهب الْعلمَاء فَلم يبْق إِلَّا المتعلمون، مَا المجتهد فِيكُم الْيَوْم إِلَّا كاللاعب فِيمَن كَانَ قبلكُم".
- وقال أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء السبعة المتوفى سنة (١٥٤) هـ: "ما نحن فيمن مضى إلا كبقل بين أصول نخل طوال فما عسى أن نقول نحن، وأفضل منازلنا أن نفهم أقوالهم، وإن كانت أحوالنا لا تشبه أحوالهم" انتهى.

وفي ذلك يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الموافقات وهو يدل أهل العلم وطلابه على طرق تحصيل العلم والرسوخ فيه: "..... والشرط الآخر: أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك : التجربة ، والخبر، أما التجربة؛ فهو أمر مشاهد في أي علم كان، فالمتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما يبلغه المتقدم، وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري؛ فأعمال المتقدمين -في إصلاح دنياهم ودينهم- على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد ، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين ، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن، ومن طالع سيرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم ؛ أبصر

العجب في هذا المعنى أما الخبر ففي الحديث: "خيرُ القرون قرني ثم الذين يلُوْنهم ثم الذين يلونهم." وفي هذا إشارة إلى أن كلَّ قرنٍ مع ما بعده كذلك".

ومن هنا ولأجل هذه المَزيّة للمتقدمين ذهب المحققون من أهل العلم إلى تتبع أقوال المتقدمين، ومصنفاتهم، وتأصيلاتهم وتفريعاتهم، وإدمان النظر فيها وتقديمها على مصنفات المتأخرين ومؤلفاتهم.

أقول: كيف لو أدرك الشاطبي زماننا، وسمع من يناطح الشافعي في مسائل خلافية بالمعاصرين الذين صدّرهم الإعلام أو عُرفوا من خلال مؤلفات هي بالأصل من مُخرجات هؤلاء المتقدمين الجبال بحجة - الاجتهاد، وبحجة عدم العصمة (!)

والشيء بالشيء يُذكر: فكل من جاء بعد سنة (٣٠٣) للهجرة من المتأخرين بنوا علومهم على المتقدمين إما اختيارا، أو ترجيحا، أو استدراكا أما مخالفتهم وهدر أقوالهم فلا (!) ولهذا يقول العلامة ابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته "ردُّ المُحتارِ على الدُّرِّ المختار": "وأنت ترى كُتُبَ المتأخِّرين تفوق على كتب المتقدِّمين في الضبط والاختصار، وجَزالةِ الألفاظ، وجمع المسائل؛ لأن المتقدِّمين كان مصرِفُ أذهانهم إلى استنباطِ المسائل وتقويم الدلائل. فالعالم المتأخِّر يصرِف ذهنَه إلى تنقيح ما قالوه، وتبْيينِ ما أجْملوه، وتقْييدِ ما أطْلقوه، وجَمْع ما فرَّقوه، واختصارِ عباراتهم، وبيانِ ما استقرَّ عليه الأمرُ من اختلافاتهم، فهو كماشطة عروسٍ- ربَّاها أهلُها حتى صلحت للزواج - تزيّنُها وتعرضها على الأزواج، وعلى كلٍّ فالفضل للأوائل، كما قال القائل:

كالبَحْرِ يَسْقيهِ السَّحابُ وما له ... فَضْلٌ عليهِ لأنَّه مِن مائهِ

وبالمناسبة أنا أتكلم عن فضل المتقدمين على المتأخرين وأقصد بالمتأخرين الذي بدأ زمانهم بعد (٣٠٠) للهجرة وانتهى بالحافظ ابن حجر (٨٥٢) للهجرة هؤلاء الذين يصرِف ذهنَه أحدهم إلى تنقيح ما قاله المتقدمون، وتبْيينِ ما أجْملوه، وتقْييدِ ما أطْلقوه، وجَمْع ما فرَّقوه، واختصارِ عباراتهم، وبيانِ ما استقرَّ عليه الأمرُ من اختلافاتهم، فحدثت **"فوضى الاستدلال العلم"**؛ لأنّ غير المتخصص، قدّم أقوال هؤلاء المعاصرين ويا ليت تقديمه كان للمتأخرين الذين كانوا أقرب فهما لمن سبقوهم، ولكن جاء بأقوال، وترجيحات، وأفهام هي بالأصل من كيس الرعيل الأول وجعلها

تناطح أقوال المتقدمين أمثال أبي حنيفة، ومالك، الشافعي، وأحمد بن حنبل، والبخاري وغيرهم وهذا طبعا لا يفعله الا جاهل غير مختص (!)

فمثلًا حديث ضعّفه نُقّادُ الحديث المتقدمون كأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وابن معين، والبخاري فبعد هذا ماذا أفعل بمن جاء بعده على جلالة قدرهم مع حفظ الألقاب (!)

وحتى لا نُتهم بإهدار علوم المُتأخرين نقول: لا يمكن أن يُستغنى عن علم المتأخرين؛ فلم تأت هذه الدعوة لتسفيه آراء المتأخرين والتزهيد في كتبهم وأقوالهم كما يشنع به البعض، لكنها أتت لتقديم منهج المتقدمين على المتأخرين إذا اختلفا، وكذا الحال مع علوم المعاصرين.

فخير ما نختم به: ما قال العلامة المحقِق، الشيخ المحدِّث عبد الفتاح أبو غدة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "صفحات من صبر العلماء": "و إذا صادف أنك ألّفتَ كتابًا، أو كتبت بحثًا، أو حقّقت مسألةً، فلا تظنّنَّ بنفسك أنّكَ بَدْءُ تاريخها، وأبو عُذْريتها، ونابِطُ وجودها، فهذا الذي منَّ الله عليكَ به- إنْ كان كما رأيته صوابًا سديدًا-: قد استندتَ فيه إلى جهودِ الأوّلين، وإلى نبوغهم وتفانيهم في العلم، جمعًا وتنسيقًا، وضبطًا وتحقيقًا، فلولاهم ما كنتَ شيئًا ما، وهم بعلمهم وفضلهم وصبرهم وآثارهم: راشُوا جناحيك، وبصَّروا عينيك، وفتحوا أذنيك، وسدّدوا عقلَكَ وفهمك، فأنت حسنةٌ من حسناتهم، شعَرْتَ أو لم تشعر... فحذارِ أن تتعالى على المتقدِّمين فيما تكتب-ناسِخًا ماسِخًا مختلِسًا-مؤلِّفًا، وترى نفسك أنك أتيت بشيءٍ فات الأوائلَ ولم تستطعه الأواخرُ، فلا تنزل (نا) و(نحن) من لسانك وقلمك وذهنك، فتصابَ بمرض نون الجماعة، كما حال من ترى من زعانف الفارغين وطحالب التافهين المتعالمين.

فما أصبنا به القول ففضل من الله وما اخطئنا فمن أنفسنا والشيطان.

السنة النبوية وبناء الشخصية الريادية: أبعاد وجدانية وحياتية

حسام وليد السامرائي

للسنة النبوية في بناء النفوس دربٌ مشرق، يرنو إلى أعالي القيم ويهدي السالكين نحو مجدٍ لا يخبو وضياءٍ لا ينطفئ، فهي قنديلٌ منيرٌ في عتمة الزمان، ودليلٌ حافلٌ بالحكمة والعطاء، تتجلّى فيها معاني الريادة التي لا تقف عند حدود الذات، بل تتعداها لتصبغ الحياة ببصماتٍ خالدةٍ تُحيي كل ما تلامسه من معانٍ.

لم تكن مجرد نصوص تتردد على الألسنة، بل هي ينبوعٌ فياض من الحكمة يُروى منه القلب، وينتشي به الوجدان، فتجعل الروح زاخرة بنورٍ سماويّ يهديها في دروب الحياة. كيف لا، وقد عاش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متفاعلًا مع نبض الوجود، يلامس تفاصيله بلطفٍ وحكمة، وينسج من مواقفه شعلة تنير للأجيال طريق الريادة. ريادةٌ لا تتوق للمادة، بل تنشد عطاءً خالصًا وروحًا ثابتة، تُعانق فيها الروح مقاصد الحق، وترسو بها النفس على شواطئ السكينة واليقين، فتكون للناس مشكاة تُضيء، وأُفقًا يسمو بالأرواح ويرتقي بها فوق زينة الدنيا وزخرفها.

المعنى العميق: إن الريادة في ضوء السنة النبوية لا تتقيد بتلك المعاني المحدودة التي اعتاد الناس حصرها في مضمار التفوق المادي أو الصعود الدنيوي، بل هي أفقٌ رحبٌ يمتد حتى يلامس أصداء الروح وخلجات الضمير. هي في جوهرها صورة مجيدة من الصدق والإخلاص، وكفاحٌ نبيلٌ يسير في دروب الحياة متوشحًا رايات البذل ومشاعل النور، فهي انطلاقٌ من الذات إلى آفاق الآخرين، وانفراجٌ من أعماق النفس إلى إشراقات الأرض. إنّها دعوة لاستباق العظمة واستنبات رجاءٍ حيّ في الأفئدة، امتدادٌ للنفس تعانق به الحياة ببذور الخير وذخائر الأمل.

في أرض النفوس: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، و لأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ

اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا)[١] من أبهى معاني الريادة التي بذرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحابته الكرام تلك العزيمة التي لا تلين أمام الصعاب، وهي التي تُشبه غراسًا مُباركًا يجود بالثمر رغم قساوة التربة، ويزداد ضياءً وإن حُجب عنه النور.

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبث في نفوس صحابته الإيمانَ بأن الريادة تعني العطاء غير المنقطع، وتعني القتال في ميادين الخير، فتتخطى الذات إلى مواطن الخدمة والنفع للآخرين، ولعمري، ما أبلغ هذا الميثاق وأروعه، إذ فيه من العزم والحب للناس ما يفوق التصور، فيجعل من النفس ريادية بالفطرة تُحسن التفاعل مع الحياة ولا تنغلق على ذاتها، وتنبض بالأمل مهما ادلهمّت الخطوب واحتدمت التحديات.

جوامع الكلم النبوي: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن القوي خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير) [٢]، كلماتٌ قليلةٌ تحمل معانٍ غزيرة، منطقٌ من ذهب. كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يربّي في نفوس الصحابة روح القوة، لا بمعنى البطش، بل بمعنى الصبر والتحمل والإيجابية، وهي سمات الريادة في أبهى معانيها. شخصية تتطلع إلى أن تكون قوية في دينها، شجاعة في قراراتها، ثابتة في أفعالها، لا تنجرف مع التيار، ولا تهوي مع الرياح، بل تملك بصيرة نافذة، وإرادة لا تعرف الكلل.

دور الريادي للأمة: في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى) [٣] إن بناء الشخصية المسلمة ذات الروح الريادية يتجاوز حدود الفرد ليصبح مشروعًا للأمة كلها. فالأمة التي ترتقي بمبادئ الإسلام تستنهض طاقات أبنائها وتُلهِم فيهم حب العطاء والمسؤولية، فتُدرك أن لكل فرد دوره الفريد في تعزيز قوتها وتماسكها. أفرادها يشكلون نسيجًا متكاملًا، حيث يكمّل كل منهم الآخر، ويقوي بعضهم بعضًا، فيتدفق العطاء بينهم بانسجام وتعاون الريادة هنا ليست فقط تحقيقًا

(١)أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ١٣٩/٦، باب الميم من اسمه محمد، رقم الحديث (٦٠٢٦).

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٥/٤ كتاب القدر، باب في الامر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، (٢٦٦٤).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٨ كتاب الادب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١).

للنجاح الفردي، بل هي حافز جماعي ينبض في قلوب أبناء الأمة، يدفعهم للإسهام في بناء مجتمعهم وتحقيق خيره وازدهاره.

بين الثبات والتجدد: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ ورائِكُم زمانُ صبرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فيه أجرُ خمسينَ شهيدًا منكم) [١] في عالم يغشاه بريق المادة ويكاد يطغى على القلوب، قد تضغط الحياة بضجيجها على النفوس، وتبعدها عن النور الهادئ العميق الكامن في هدي السنة النبوية. لكن لله فينا نعمة عظيمة؛ نعمة المنهج الخالد الذي لا يهت بمرور الأيام، بل يزداد تألقًا ورسوخًا، كلما طال عليه الزمن.

إنه المنهج الذي يظل يتجدد مع كل جيل، يبقى حاضرًا، يسري في ضمير الأمة كنبع لا ينضب، وكضوء لا يخبو مهما اشتدت العواصف، قلبه معلق بالله، متصل بمصدر العزة. رسالته لا تقتصر على مجرد العيش في الدنيا، ولا على مطامعها العاجلة.

الوجدان الريادي: يكمن في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا) [٢] تتجلى فيه روعة التصوير النبوي، الأمة ببنيان متماسك تتعاضد لبناته، فتغدو كيانًا ثابت الأركان، تتكامل أجزاؤه وتتآزر لتقف كجسد واحد، لا يلين ولا ينكسر. هي صورة حية، تجعل من كل فردٍ جزءًا من بناء عظيم، له في صلبه دورٌ يؤديه، ومسؤولية لا ينفك عنها، ترتقي مفاهيم الريادة إلى أسمى معانيها؛ فلا تُختزل في تحقيق الذات أو بلوغ المجد الفردي، بل في بذل متدفق، حيث تتصل النفوس كأنها خيوط النسيج الواحد، كل خيطٍ يشد الآخر في تماسكٍ وقوة. هكذا، يعيش المسلم في قلب هذا الكيان نابضًا بالمسؤولية، عامرًا بالبذل، ساعيًا لأن يكون جزءًا من صرحٍ شامخ، يمتد أثره وفضله عبر الأجيال.

في ختام هذه المضامين الرفيعة، نجد أن السنة النبوية ترسم للريادة طريقًا يتجاوز الفرد ليغمر المجتمع بأسره، فيكون كل فرد لبنة في بنيان الأمة المتماسك، تُشدّ به أركانها وتقوى به دعائمها. إنها ريادة مستنيرة بهدي النبوة، تتجلى فيها معاني العطاء

---

(١) اخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٧٢/٣ باب الباء من اسمه بكر، رقم الحديث ٣١٢١

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم باب نصرة المظلوم حديث رقم ٢٤٤٦، ١٢٩/٣.

والبذل، وتكتمل بها صورة الأمة التي تتعاضد قلوبها، وتتآلف أرواحها، في سعي لا ينقطع نحو الخير والصلاح.

تنبيه الغافل إلى ما في تنظيف المساجد من الفضائل

أحمد الصالحي

مدرسة الحديث العراقية-فرع جلولاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن المساجد لما فيها من اجتماع الناس فإنها تحتاج إلى تنظيم وتنظيف وتهيئة، يرفع عنها الأذى والنجاسات، وتطيب وتطهر، وهذا من تعظيمها، وتعظيمها من تعظيم ما يحبه الله جل وعلا.

وقد جاء الأمر والحث والترغيب في هذا الأمر في شريعة ربنا:

١. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

- قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال الحسن البصري (وَعَهِدْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ) قال: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس، ولا يصيبه من ذلك شيء".[١]
- وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(وَعَهِدْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ) أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات والأقذار".[٢]

٢. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، (٢٦٩/١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي، (ص ٥١).

- وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لما قال تعالى ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ دخل فيه بالمعنى جميع بيوته تعالى، فيكون حكمُها حكمَه في التطهير والنظافة، وإنما خص الكعبة بالذكر لأنه لم يكن غيرها، أو لكونها أعظم حرمة، والأول أظهر، والله أعلم"(١)

٣. وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

- قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال الَّتِي لَا تَلِيقُ فِيهَا.(٢)
- قال السيوطي: في هذه الآية الأمر بتعظيم المساجد وتنزيهها عن اللغو والقاذورات اهـ.(٣)
- وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ هذا مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها: بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسات والأذى، وصونها من المجانين والصبيان، الذين لا يتحرزون من النجاسات، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله).(٤)

قال النووي: يستحب استحبابا متأكدا كنس المسجد وتنظيفه؛ للأحاديث الصحيحة المشهورة فيه.(٥)

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، (٢/٣٨٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، (٦/٥٦).

(٣) «محاسن التأويل» للقاسمي، (١٢/٢١٤).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي، ص٥١٨.

(٥) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووي (٣/١٩٣).

ومن هذه الأحاديث:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ؟ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، أَوْ قَالَ: قَبْرِهَا. فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا.

تخريجه:

أخرجه الطيالسي في "مسنده" (١٩٤/٤) برقم: (٢٥٦٨)، وأحمد في "مسنده" (١٨١٣/٢) برقم: (٨٧٥٤)، (٢ / ١٨٩٦)، برقم: (٩١٥٩)، (٢ / ١٩٤٣)، برقم: (٩٣٩٥)، والبخاري في "صحيحه" (٩٩/١) برقم: (٤٥٨)، (٩٩/١) برقم: (٤٦٠)، (٨٩/٢) برقم: (١٣٣٧)، ومسلم في "صحيحه" (٥٦/٣) برقم: (٩٥٦)، وابن ماجه في "سننه" (٤٨٦/٢) برقم: (١٥٢٧)، وأبو داود في "سننه" (١٩٧/٣) برقم: (٣٢٠٣)، والبزار في "مسنده" (٧٨/١٥) برقم: (٨٣١٨)، (٧٤/١٧) برقم: (٩٦٠٤)، وأبو يعلى في "مسنده" (٣١٤/١١)، برقم: (٦٤٢٩)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٤٩/٢) برقم: (١٢٩٩)، (٤٥٠/٢) برقم: (١٣٠٠)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٥١٣/١) برقم: (٢٩٣١)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٧٦/١) برقم: (٧٧)، وابن حبان في "صحيحه" (٣٥٥/٧) برقم: (٣٠٨٦)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٤٤٠/٢) برقم: (٤٣٨٠)، (٣٢/٤) برقم: (٧٠١٩)، (٤٧/٤) برقم: (٧١١٢)، (٤٧/٤) برقم: (٧١١٣)، (٤٧/٤) برقم: (٧١١٤)، (٤٧/٤) برقم: (٧١١٥)، (٤٧/٤) برقم: (٧١١٦)، (٤٧/٤) برقم: (٧١١٧).

شرح ألفاظه:

(امْرَأَةً سَوْدَاءَ): اسمها أم محجن، كما رواه البيهقي من حديث بريدة بإسناد حسن كما قال الحافظ في " الفتح".[١]

(تَقُمُّ الْمَسْجِدَ): أي: تكنُسه. قال الخطابي: معناه يكنس والقمامة الكناسة.[٢]

(فَهَلَّا آذَنْتُمُونِي): بِمَدِّ الْهَمْزَةِ مِنَ الْإِيذَانِ أَيْ أَعْلَمْتُمُونِي بِمَوْتِهَا حِينَ مَاتَتْ.[٣]

---

(١) «فتح الباري» لأبن حجر (١/ ٥٥٣).

(٢) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي، (٤/٩).

(٣) «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» للسندي، (١/ ٤٦٥).

من فوائد الحديث:

- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث فضل تنظيف المسجد، والسؤال عن الخادم والصديق إذا غاب.[١]
- وقال ابن بطال: وفيه الحضّ على كنس المساجد وتنظيفها؟ لأنه إنما خصه بالصلاة عليه بعد دفنه من أجل ذلك.[٢]
- ومن فوائد الحديث: أن جواز خدمة المرأة للمسجد، يؤخذ من إقرار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك، ولكن كما نعلم جميعًا أن الأشياء المباحة إذا كان يخشى منها شر صارت محذورة حسب ما يترتب عليها من الشر، فأنت لا تأخذ بالجواز مطلقًا، لو أن امرأة شابه جميلة قالت: إنها تريد أن تقم المسجد وتأتي في الليل وتقمه، نقول: لا، لأن هذه يخشى عليها من الفتنة، لكن الأصل الجواز والإباحة.[٣]
- أن فيه المكافأةَ بالدعاء، والترحم على من وقف نفسه على نفع المسلمين ومصالحهم.[٤]

٢. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "أمرنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببناءِ المساجد في الدُّورِ، وأن تُنَظَّفَ وتُطَيَّبَ".

تخريجه:

أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤٢/٥) برقم: (٧٥٢٢)، وأحمد في "مسنده" (٦٣٦٩/١٢) برقم: (٢٧٠٢٨)، وابن ماجه في "سننه" (١ / ٤٨٧) برقم: (٧٥٨)، (٤٨٧/١) برقم: (٧٥٩)، وأبو داود في "سننه" (١ / ١٧٣) برقم: (٤٥٥)، والترمذي في "جامعه" (٥٨٨/١) برقم: (٥٩٤)، (٥٨٨/١) برقم: (٥٩٥)، (٥٨٩/١) برقم: (٥٩٦)، وأبو يعلى في "مسنده" (١٥٢/٨) برقم: (٤٦٩٨)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٤٥/٢) برقم:

---

(١) فتح الباري، (٥٣٣/١).

(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» لبدر الدين العيني، (٤/ ٢٣١).

(٣) «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» لابن عثيمين، (٥٤٤/٢).

(٤) «البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج» محمد بن آدم الإثيوبي، (٤٧٨/١٨).

(١٢٩٤)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٣٩/٧) برقم: (٢٨٠٥)، (٢٤٠/٧) برقم: (٢٨٠٧)، وابن حبان في "صحيحه" (٥١٣/٤) برقم: (١٦٣٤)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٤٣٩/٢) برقم: (٤٣٧٧).

شرح ألفاظه:

- **(الدُّورِ)** قال الشوكاني: الدُّورُ جَمْعُ دَارٍ وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْبِنَاءِ وَالْعَرْصَةِ وَالْمَحَلَّةِ، وَالْمُرَادُ الْمَحِلَّاتُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْمَحَلَّةِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا قَبِيلَةٌ دَارًا أَوْ مَحْمُولٌ عَلَى اتِّخَاذِ بَيْتٍ لِلصَّلَاةِ، كَالْمَسْجِدِ يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُ الْبَيْتِ قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ.[١]
- **(وأن تنظف)** معناه تطهر كما في رواية ابن ماجه، والمراد تنظيفها من الوسخ والدنس وبإزالة النتن والعذرات والتراب.
- **(وتطيب)** بالرش أو العطر. قال ابن رسلان: بطيب الرجال وهو ما خفي لونه وظهر ريحه، فإن اللون ربما شغل بصر المصلي. والأولى في تطييب المسجد مواضع المصلين ومواضع سجودهم أولى. ويجوز أن يحمل التطييب على التجمير في المسجد بالبخور.[٢]

من فوائد الحديث:

- **قال ابن حجر:** وبه يعلم أنه يستحب تجمير المسجد بالبخور خلافا لمالك حيث كرهه، فقد كان عبد الله يجمر المسجد إذا قعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر، واستحب بعض السلف التخليق بالزعفران والطيب، وروي عنه عليه السلام فعله، وقال الشعبي هو سنة. وأخرج ابن أبي شيبة أن ابن الزبير لما بنى الكعبة طلى

(١) «نيل الاوطار» للشوكاني، (١٧٩/٢).

(٢) «عون المعبود»، (٨٩/٢).

حيطانها بالمسك. وأنه يستحب أيضا كنس المسجد وتنظيفه، وقد روى ابن أبي شيبة أنه عليه السلام كان يتبع غبار المسجد بجريدة انتهى ما في المرقاة.[١]

- **مشروعية تنظيف المساجد وهو نوعان:** نوع واجب، وذلك بتنظيفها من القذر، ودليل هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بال الأعرابي قال: «أريقوا على بوله سجلًا من ماء» أو قال: «ذنوبًا من ماء». ويدل لذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ [البقرة: ١٢٥].

والثاني: تنظيف عن الأذى الذي ليس بقذر، فهذا الأصل فيه أنه سنة كأن تلقط ورقة ساقطة أو ريشة ساقطة أو ما أشبه ذلك، لكن إن خيف أن تجتمع هذه الأوساخ حتى تكون رائحة سيئة خبيثة، فالتنظيف حينئذٍ يكون واجبًا لإماطة الأذى.[٢]

٣. وعن أنس قال: «رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نخامة في قبلة المسجد، فغضب حتى احمَّر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكَّته، وجعلت مكانها خلوقًا فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أحسن هذا».

تخريجه:

أخرجه الطيالسي في "مسنده" (٤٧٦/٣) برقم: (٢٠٨٦)، وعبد الرزاق في "مصنفه" (٤٣٣/١) برقم: (١٦٩٢)، والحميدي في "مسنده" (٣١٧/٢) برقم: (١٢٥٣)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤٥/٥) برقم: (٧٥٢٩)، وأحمد في "مسنده" (٢٥٤٤/٥) برقم: (١٢٢٤٥)، (٢٧٠٩/٥) برقم: (١٣٠٠٦)، (٢٧٣٩/٥) برقم: (١٣١٥٩)، (٢٧٤٦/٥) برقم: (١٣١٩١)، (٢٧٦٥/٥) برقم: (١٣٢٦٦)، (٢٧٩٥/٥) برقم: (١٣٤١٨)، (٢٧٩٩/٥) برقم: (١٣٤٤٦)، (٢٨٤٧/٦) برقم: (١٣٦٥٥)، (٢٨٥٨/٦) برقم: (١٣٧٠٤)، (٢٨٧٦/٦) برقم: (١٣٧٧٤)، (٢٨٩٤/٦) برقم: (١٣٨٥٤)، (٢٩٣٥/٦) برقم: (١٤٠٥٤)، (٢٩٤٤/٦) برقم: (١٤٠٩٧)، (٢٩٥٤/٦) برقم: (١٤١٦٩)، (٢٩٨٧/٦) برقم: (١٤٣١٥)، والبخاري في "صحيحه" (٩٠/١) برقم: (٤٠٥)، (٩٠/١) برقم: (٤١٢)، (٩٠/١) برقم: (٤١٣)،

---

(١) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» للمباركفوري، (١٦٨/٣).

(٢) «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام»، (٥٩٥/١).

(٩١/١) برقم: (٤١٧)، (١١٢/١) برقم: (٥٣١)، (٦٥/٢) برقم: (١٢١٤)، ومسلم في "صحيحه" (٧٦/٢) برقم: (٥٥١)، وابن ماجه في "سننه" (٤٨٩/١) برقم: (٧٦٢)، والبزار في "مسنده" (٤٠٩/١٣) برقم: (٧١٢٥)، (٤٣١/١٣) برقم: (٧١٧٥)، والنسائي في "المجتبى" (١٦٤/١) برقم: (١/٧٢٧)، والنسائي في "الكبرى" (٣٩٩/١) برقم: (٨٠٩)، وأبو يعلى في "مسنده" (٢٦٦/٥) برقم: (٢٨٨٤)، (٣٣٩/٥) برقم: (٢٩٦٨)، (٤٢٠/٥) برقم: (٣١٠٧)، (٤٥٣/٥) برقم: (٣١٦٩)، (٤٦٤/٥) برقم: (٣١٩٠)، (٧/٦) برقم: (٣٢٢٠)، (٧/٦) برقم: (٣٢٢١)، (٢٢٣/٦) برقم: (٣٥٠٦)، (٤٥٧/٦) برقم: (٣٨٥٣)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٤٧/٢) برقم: (١٢٩٦)، وابن حبان في "صحيحه" (٤٤/٦) برقم: (٢٢٦٧)، والطبراني في "الأوسط" (٣٣٣/٢) برقم: (٢١٤٤)، (٣٥١/٤) برقم: (٤٤٠٧)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٢٥٥/١) برقم: (١٢٢١)، (٢٩٢/٢) برقم: (٣٦٥١)، (٢٩٢/٢) برقم: (٣٦٥٢)، (٢٩٢/٢) برقم: (٣٦٥٣)، (٢٩٢/٢) برقم: (٣٦٥٤)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٥٧/٦) برقم: (٢٠٣٢)، (٥٨/٦) برقم: (٢٠٣٣).

شرح ألفاظه:

- **(نخامة في قبلة المسجد)** أي في الجدار الذي في مواجهة المسجد.
- **(فغضب حتى احمر وجهه)** فيه غضب الإمام على رعيته إذا رأى منهم المخالفة الشرعية، لينزجروا، ويرتدعوا.
- **(فقامت امرأة من الأنصار، فحكتها)** أي أزالت تلك النخامة.

(وجعلت مكانها خَلُوقًا) بفتح الخاء المعجمة، وضم اللام، ويقال فيه: الخِلاق -ككتاب-: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والخَلُوق، والخِلاق: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران. وقال أيضًا: والخَلُوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران، وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه العمرة والصفرة.[1] اهـ

(١) لسان العرب، (١٢٤٧/٢).

- **(ما أحسن هذا)** تعجبًا من حسن صنيع تلك المرأة واستحسانًا له. والله تعالى أعلم، وهو المستعان، وعليه التكلان.[١]

من فوائد الحديث:

- مشروعية تخليق المساجد، واتخاذ الخَلُوق له
- ومنها: إزالة ما يستقذر من المسجد.
- ومنها: أنه ينبغي للإمام أن يتفقد أحوال المساجد لتعظيمها، وصيانتها عن الأقذار.
- ومنها: مشروعية الغضب عند رؤية المنكر.
- ومنها: عظيم تواضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد تقدم أنه حك البصاق بنفسه، ووضع الخلوق مكانه. والله أعلم.[٢]

٤. عن أنس بن مالك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله وقراءة القرآن».

تخريجه:

أخرجه مالك في "الموطأ" (٨٧/١) برقم: (٥٤/٢٠٩)، وعبد الرزاق في "مصنفه" (٤٢٤/١) برقم: (١٦٦٠)، والحميدي في "مسنده" (٣٠٧/٢) برقم: (١٢٣٠)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢٨٦/٢) برقم: (٢٠٤٢)، وأحمد في "مسنده" (٢٥٤٩/٥) برقم: (١٢٢٦٥)، (٢٥٥٨/٥) برقم: (١٢٣١٥)، (٢٦٨٨/٥) برقم: (١٢٩٠٦)، (٢٧٤٥/٥) برقم: (١٣١٨٤)، (٢٨٢٧/٥) برقم: (١٣٥٧٢)، وعبد بن حميد في "المنتخب من مسنده" (٤٠٦/١) برقم: (١٣٨١)، والدارمي في "مسنده" (٥٧٤/١) برقم: (٧٦٧)، والبخاري في "صحيحه" (١/ ٥٤) برقم: (٢١٩)، (٥٤/١) برقم: (٢٢١)، (٥٤/١) (بدون ترقيم)، (١٢/٨) برقم: (٦٠٢٥)، ومسلم في "صحيحه" (١٦٣/١) برقم: (٢٨٤)، (١٦٣/١) برقم: (٢٨٤)، (١٦٣/١) برقم: (٢٨٥)، وابن ماجه في "سننه" (٣٣٢/١) برقم: (٥٢٨)،

---

(١) «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» محمد بن آدم الإثيوبي، (٩/ ١٤١).

(٢) المصدر السابق.

والترمذي في "جامعه" (١٩٣/١) برقم: (١٤٨)، والبزار في "مسنده" (٣٣٢/١٢) برقم: (٦٢٠١)، (٧٨/١٣) برقم: (٦٤٢٦)، والنسائي في "المجتبى" (٣٥/١) برقم: (١/٥٣)، (٣٦/١) برقم: (٢/٥٤)، (٣٦/١) برقم: (٣/٥٥)، (٨٨/١) برقم: (٢/٣٢٨)، والنسائي في "الكبرى" (٩١/١) برقم: (٥١)، (٩٢/١) برقم: (٥٢)، (٩٢/١) برقم: (٥٣)، وأبو يعلى في "مسنده" (١٨١/٦) برقم: (٣٤٦٧)، (٣٢٨/٦) برقم: (٣٦٥٢)، (٣٢٩/٦) برقم: (٣٦٥٤)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٣٩٥/١) برقم: (٢٩٣)، (٣٩٧/١) برقم: (٢٩٦)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١٣/١) برقم: (١٠)، (١٣/١) برقم: (١١)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٣٢/١٢) برقم: (٥٠٠٤)، وابن حبان في "صحيحه" (٢٤٦/٤) برقم: (١٤٠١)، والطبراني في "الأوسط" (١٦٢/٥) برقم: (٤٩٤٧)، (٦٦/٦) برقم: (٥٨٠٩)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٤١٢/٢) برقم: (٤٢٠٨)، (٤١٣/٢) برقم: (٤٢٠٩)، (٤٢٧/٢) برقم: (٤٣٠١)، (٤٢٧/٢) برقم: (٤٣٠٢)، (٤٢٧/٢) برقم: (٤٣٠٣)، (٤٢٧/٢) برقم: (٤٣٠٤)، (٤٢٨/٢) برقم: (٤٣٠٥)، (١٠٣/١٠) برقم: (٢٠٣٢٣).

من فوائد الحديث:

- فيه: صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقذار والقذى والبصاق ورفع الأصوات والخصومات والبيع والشراء وسائر العقود وما في معنى ذلك.
- يحرم إدخال النجاسة إلى المسجد، وأما من على بدنه نجاسة، فإن خاف تنجيس المسجد لم يجز له الدخول، فإن أمن ذلك جاز، وأما إذا افتصد في المسجد فإن كان في غير إناء فحرام وإن قطر دمه في إناء فمكروه، وإن بال في المسجد في إناء ففيه وجهان أصحهما: أنه حرام، والثاني: مكروه.[1]

٥. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها»

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، (١٩٢/٣).

تخريجه:

أخرجه الطيالسي في "مسنده" (٤٨٦/٣) برقم: (٢٠٩٩)، وعبد الرزاق في "مصنفه" (٤٣٥/١) برقم: (١٦٩٧)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤٩/٥) برقم: (٧٥٤١)، وأحمد في "مسنده" (٢٥٤٤/٥) برقم: (١٢٢٤٤)، (٢٧٠٢/٥) برقم: (١٢٩٧٢)، (٢٧٢٥/٥) برقم: (١٣٠٨٨)، (٢٧٢٥/٥) برقم: (١٣٠٨٩)، (٢٧٨٧/٥) برقم: (١٣٣٨٤)، (٢٨٤١/٥) برقم: (١٣٦٣٧)، (٢٨٤٧/٦) برقم: (١٣٦٥٤)، (٢٩٤٦/٦) برقم: (١٤١١٧)، (٢٩٥٣/٦) برقم: (١٤١٦٢)، (٢٩٨٣/٦) برقم: (١٤٢٩١)، والدارمي في "مسنده" (٨٧٦/٢) برقم: (١٤٣٥)، والبخاري في "صحيحه" (٩١/١) برقم: (٤١٥)، ومسلم في "صحيحه" (٧٦/٢) برقم: (٥٥٢)، (٧٧/٢) برقم: (٥٥٢)، وأبو داود في "سننه" (١٧٧/١) برقم: (٤٧٤)، (١٧٧/١) برقم: (٤٧٥)، (١٧٨/١) (بدون ترقيم)، والترمذي في "جامعه" (٥٧١/١) برقم: (٥٧٢)، والبزار في "مسنده" (١٢٠/١٣) برقم: (٦٥٠٢)، (٣٨٤/١٣) برقم: (٧٠٦٤)، (٣٨٤/١٣) برقم: (٧٠٦٥)، (٣٨٤/١٣) برقم: (٧٠٦٦)، (٤٣٧/١٣) برقم: (٧١٩٠)، والنسائي في "المجتبى" (١٦٤/١) برقم: (١/٧٢٢)، والنسائي في "الكبرى" (٣٩٨/١) برقم: (٨٠٤)، وأبو يعلى في "مسنده" (٢٣٧/٥) برقم: (٢٨٥٠)، (٢٦٧/٥) برقم: (٢٨٨٥)، (٤١٠/٥) برقم: (٣٠٨٧)، (٤١٠/٥) برقم: (٣٠٨٨)، (٤٤٦/٥) برقم: (٣١٥٥)، (٤٥٠/٥) برقم: (٣١٦١)، (٧/٦) برقم: (٣٢٢٢)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٤٥٦/٢) برقم: (١٣٠٩)، وابن حبان في "صحيحه" (٥١٤/٤) برقم: (١٦٣٥)، (٥١٦/٤) برقم: (١٦٣٧)، والطبراني في "الأوسط" (١٦٤/٩) برقم: (٩٤٣١)، والطبراني في "الصغير" (٧٩/١) برقم: (١٠١)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٢٩١/٢) برقم: (٣٦٤٥)، (٢٩١/٢) برقم: (٣٦٤٦).

شرح ألفاظه:

- (البزاق) أيْ إِلْقَاءَهُ وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ.
- (في المسجد) أَيْ فِي أَرْضِهِ وَجُدْرَانِهِ.

- (خطيئة) أَيْ إِثْمٌ.[١]
- (كَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) فَمَعْنَاهُ إِنْ ارْتَكَبَ هَذِهِ الْخَطِيئَةَ فِعْلَيْهِ تكفيرها.

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِدَفْنِهَا فَالْجُمْهُورُ قَالُوا الْمُرَادُ دَفْنُهَا فِي تُرَابِ الْمَسْجِدِ وَرَمْلِهِ وَحَصَاتِهِ إِنْ كَانَ فِيهِ تُرَابٌ أَوْ رَمْلٌ أَوْ حَصَاةٌ وَنَحْوُهَا وَإِلَّا فَيُخْرِجُهَا وَحَكَى الرُّويَانِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا قَوْلًا أَنَّ الْمُرَادَ إِخْرَاجُهَا مُطْلَقًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[٢]

من فوائد الحديث:

- في هذا الحديث: دليل على احترام المساجد، وأنه يجب أن تصان عن كل هذا.
- نأخذ من هذا الحديث: تحريم البزاق في المسجد.[٣]

(١) «عون المعبود»، (٢/ ٩٨).

(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، (٥/ ٤١).

(٣) «فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام»، (١/ ٦١٩).

دور السنة النبوية في إبطال منهج فرقة: "القرآنيين"

أ.د. قاسم محمد أحمد الخزرجي
قسم الحديث وعلومه

الحمد لله نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره، والصلاة والسلام على أشرف خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

إن العقلاء من المسلمين ينظرون للسنة النبوية النظرة المتطابقة مع ما يدعو إليه القرآن الكريم، ومع ما يقبله العقل من حتمية قيام أي رسول بالبيان لأمته والتعليم والإرشاد، هذا البيان والتعليم والإرشاد الذي يختلف عن بيان غيره قطعا لعلمه – أي الرسول - بمراد الله أكثر من غيره، ولعصمته وتسديد الوحي له، ولحث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه على اتباع ما يصدر عنه كي لا يقع أتباعه في المخالفات، ولمنزلة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوب أتباعه فتجدهم يعملون على إيصال ما سمعوه ورأوه منه إلى من لم يسمع منه أو يراه، أما ما يدعو إليه القرآنيون وما يظنونه في السنة ففيه من المخالفات والمجازفات الكثير فضلا عن تساقطه أمام العقل المنضبط والحوار العقلاني.

إن إبطال منهج فرقة القرآنيين تشكلت ملامحه ومقوماته من السنة النبوية، ويمكن ذكر هذه الملامح والمقومات فيما يأتي:

أولًا: التنبيه – إن لم نقل التنصيص - على تشكل هذه الفرقة: فقد نصت السنة على قرب ظهور طائفة من الناس ظاهرهم التعامل مع القرآن فحسب، ففي حديث المقدام عن ابن ماجه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يوشك الرجل متكئًا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا من حلال حللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله.

ثانيًا: توصيف أتباع هذه الفرقة: مما يجعلهم معروفين للناس فيسهل التشخيص لأتباعها ويساعد على التهيؤ للرد عليهم، فوصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكر السنة النبوية المذكور في الحديث بأنه شبعان ومتكئ على أريكته ويطالب بالتحديث من القرآن فقط وعدم التحديث من السنة، وما تقدم ينبئ عن ترف هؤلاء وأتباعهم للهوى وعدم بذل الجهد لاستخراج المعاني من النصوص.

ثالثًا: تثبيت حقيقة أن القرآن له صيغ أداء متنوعة وهي حقيقة نزول القرآن على سبعة أحرف: وما تفرع عن هذه الأحرف السبعة من قراءات وروايات متعددة، وما حملته هذه الروايات من أصول وفرش فيها ما له أثر لفظي صوتي كالإمالة والإبدال والنقل والتسهيل وغيرها، وفيها ما له أثر معنوي ناتج عن تنوع الألفاظ مثل الغيبة والخطاب، والإفراد والجمع، والتقديم والتأخير، والحذف والإثبات، واختلاف بعض الألفاظ، وما يحمله كل ما تقدم من ثراء واسع في المعاني والاستنباطات، وكل ذلك منقول بالقدر نفسه وهو التواتر أو الشهرة، وعليه فجنوح القرآنيين إلى رواية واحدة من هذه الروايات وإهمال الباقي أو عدم العلم به أو عدم الاعتراف به هو تحكم منهم لا دليل عليه.

رابعًا: التشابه والاشتراك بين القرآن والسنة في النقل والوصول إلينا: وذلك من جوانب:

١. إن وسائل نقل السنة هي ذاتها وسائل نقل القرآن الكريم وهي الحفظ والكتابة فكما أن القرآن محفوظ في الصدور ومكتوب في السطور فكذا السنة محفوظة في الصدور ومكتوبة بإذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره فقد أذن لعبد الله بن عمرو بالكتابة وأمر بها لأبي شاه.

٢. ينكر القرآنيون نقل السنة ويطلقون الشبه الكثيرة على نقلها بل يعملون على التنقص والاستهزاء في ذلك، والناظر لكيفية نقل القرآن سيجد أنه منقول بالطريقة نفسها وهي التحديث والسماع بالأصول والفرش. والمطالع لكتب علم القراءات سيجد التعبير بذلك صراحة فتراهم يفرقون في الرواية الواحدة عن الراوي نفسه في القراءة الواحدة. فيقولون حدثنا فلان برواية فلان، ثم يقولون وقرأت بها على فلان، ويعنون به أنهم تلقوا الأصول والفرش للقراءة والرواية

تحديثًا أي نظريًا، ثم يتلقونها تطبيقيًا بالقراءة، وما تقدم من النقل النظري اليس هو ذاته نقل السنة؟! ولنأخذ مثالا تطبيقيا على ذلك ما أورده الإمام أبو عمرو الداني في باب ذكر الإسناد الذي أدى إلى القراءة عن هؤلاء الأئمة من الطرق المرسومة عنهم رواية وتلاوة: إسناد قراءة نافع: **فأما رواية قالون عنه فحدثنا بها** أحمد بن عمر بن محمد الجيزي قال حدثنا محمد بن احمد بن منير قال حدثنا عبد الله بن عيسى المدني قال حدثنا قالون عن نافع، **وقرأت بها القران كله على** شيخي أبي الفتح فارس بن أحمد بن موسى بن عمران المقرئ الضرير وقال لي قرأت بها على أبي الحسن عبد الباقي بن الحسن المقرئ وقال قرأت على إبراهيم بن عمر المقرئ وقال قرأت بها على أبي الحسين أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان وقال قرأت على أبي بكر أحمد بن محمد ابن الأشعث وقال قرأت على أبي نشيط محمد بن هرون وقال قرأت على قالون وقال قرأت على نافع[١].

٣. إن الناظر في أسانيد القرآن والمطلع على أسماء رجال هذه الأسانيد وتراجمهم سيجد أنهم في الغالب هم أنفسهم نقلة السنة، وهذا بالعكس يعني إمكان القول إن نقلة السنة هم أنفسهم نقلة القرآن، فالطعن عليهم ينتج عليه الطعن على نقلة القرآن، فيكون القرآنيون بهذا طاعنين في القرآن علموا ذلك - وهو الأقرب - أو لم يعلموا، ولو أخذنا مثالًا في ذلك ما يذكره مؤلفو القراءات في كتبهم من رجال القراء، ففي قراءة نافع المدني ذكروا رجال نافع المدني الذين أخذ منهم القراءة وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع –وهو ثقة من رجال أبي داود-، وأبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج– وهو ثقة من رجال الستة - وشيبة بن وضاح القاضي، وأبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي القاص، وأبو روح يزيد بن رومان.

(١) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ١٠.

وأخذ هؤلاء القراءة عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة وهم ثلاثتهم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

٤. إنّ تصريح السنة بها سيكون من وقوع الكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستفاد منه أمران:

أولهما: المعرفة بذلك لدى المتتبعين للسنة وهذا يعني أنّ القول بوجود الدسّ والافتراء والوضع في السنة ليس غائبًا عن أذهانهم وليس براءة اختراع تسجل لمن سمو بالقرآنيين.

الثاني: إن تحذير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وقوع الكذب عليه فيه زيادة تنبيه ورفع من درجة التتبع والحماية مما يسهم في معرفة من يقومون بالكذب والدسّ ومعرفة ما يكذبونه ويدسونه.

(١)المصدر نفسه: ٨.

ضوابط النشر في المجلة

ترحب هيئة التحرير بكم، وتستقبل مساهماتكم ونشاطاتكم العلمية على البريد الإلكتروني

mailto:almohadith.mg@gmail.com

١. أن تكون المقالات باللغة العربية.

٢. أن تكون المقالات علمية متخصصة بالحديث وعلومه.

٣. تعرض المقالات على اللجنة العلمية للمجلة، وقد تعدل عليها علميا، وبما يناسب طبيعة المجلة.

٤. لا يوجد إلزام لهيئة التحرير بنشر المقالات.

٥. يكون النشر بحسب متطلبات المجلة، ووفق الأمور الفنية الآتية:

أ. هوامش الصفحة تكون (٣) سم من كل الاتجاهات الأربعة، ويكون التباعد (مفردًا).

ب. يستخدم خط (Sakkal Majalla) للغة العربية، بحجم (١٨)، وبحجم (١٤) للحاشية، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

ت. يستخدم خط (New Times Roman) للغة الانجليزية، بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والجداول والأشكال.

ث. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي غير مسوَّد.

ج. أن يعتني الباحث بسلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.

مجلة

المحدث

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية